

عبد الناصر والصراع العربي - الإسرائيلي

ياسين الحافظ

- ١ -

بعد أن قضت الإمبريالية الإنكليزية، بالتضامن مع الدول الإمبريالية الأخرى ، على أولى محاولات الوحدة العربية ، والتحديث التي قادها محمد علي وابنه إبراهيم في العام ١٨٤٠، انتقلت إلى وضع أساس أو حاجز يقف أمام احتمالات الوحدة . هنا نبشت مشروع نابليون القديم، القاضي بإنشاء وطن قومي يهودي يتصدى لاحتمالات المشاريع " التوسعية " ، التي قد يستأنفها محمد علي أو أحد خلفائه ، للعودة إلى سوريا (على حد قول بالمرستون، وضمان أمن مواصلات الإمبريالية بالتالي (١). لقد أمسكت الإمبريالية الإنكليزية إذاً بمفتاح المسألة الأول، وما لبثت أن أمسكت بالمفتاح الثاني : فما دامت احتمالات النهضة تكاد تكون متمركزة في مصر، وأن الاحتمالات الوحيدة الجدية ستنتقل بالتالي من مصر وتدور حولها، لذا عملت الإمبريالية الإنكليزية، بعد احتلال مصر في أواخر القرن التاسع عشر، على تشجيع إيديولوجيا قومية مصرية (٢)، مهمتها تكريس عزلة مصر التي فرضتها الإمبريالية بقوة السلاح بقضائها على مشروع محمد علي الوحدوي .

هذه النزعة القومية المصرية التي تقولبت، بعد القضاء على حركة عرابي، في قالب محمد عبده الإصلاحية، كان لا بد لها أن تفرز وعياً ملتبساً وقاصراً لقضية فلسطين. ما دامت مصر تشكل أمة، لذا كانت قضية فلسطين، بمعنى ما، وإلى حد ما، مشكلة خارجية. لم تكن القيادات الوطنية التقليدية تولي قضية فلسطين الاهتمام الذي تفرضه أهميتها وخطورتها. أما المثقفون والجماعات السياسية التي كانت تولي هذه القضية عناية أكبر، فكانت بالأحرى تقليدية وإسلامية ما قبل برجوازية عموماً ، ترى في الصهيونية خطراً على شعب "آخر" تربطه بشعب مصر رابطة الدين والجوار.

أضف إلى ذلك أن الطابع غير الراديكالي للقيادات الوطنية الجماهيرية المصرية جعلها، على حد قول عبد الناصر، عاجزة على أن تمد بصرها عبر سيناء، فلم تلتقط لا الأبعاد الحقيقية للغزو الصهيوني، ولا دوره في الاجتياح الإمبريالي للوطن العربي، ولا البعد الحقيقي لاستقلال مصر الفعلي، هذا البعد الذي اكتشفه عبد الناصر عندما وعى أن الأفق الحقيقي لتحرير مصر تحرراً كاملاً يشترط تحرر الوطن العربي كله ، بل أفريقيا أيضاً ، من النفوذ الإمبريالي، وبالتالي زوال إسرائيل.

قبل أن يستلم عبد الناصر السلطة، بل عندما كانت عملية تنظيم الضباط الأحرار في بدايتها، كان وعيه للقضية الفلسطينية مطبوعاً ، إلى حد ما، بالرؤية المصرية السائدة . قلت "إلى حد ما" وذلك لأن أصول عبد الناصر الشعبية ونشأته النضالية في حداثته ووطنيته الراديكالية، جعلته يولي اهتماماً أكبر بكثير لقضية فلسطين (٣). أما بعد انتسابه للجيش فمن المحتمل، إن لم أقل من المرجح، أن تكون تأثيرات الإخوان المسلمين على بعض رفاقه في التنظيم من جهة، وتأثيرات عزيز المصري، الذي عاش وناضل فترة طويلة في بيئة سياسية قومية عربية من جهة أخرى، قد أسهمت في تعميق ذلك الاهتمام . فكان عبد الناصر من أوائل الضباط المصريين الذين حاولوا الالتحاق بجيش الإنقاذ، الذي كان يحارب في فلسطين قبل أيار/ مايو ١٩٤٨ (٤).

إن اشتراك عبد الناصر في حرب فلسطين، الذي أتاح له أن يلتقط عياناً ، ومن خلال تجربته المباشرة الذاتية، فساد النظام، كان أحد العوامل الرئيسية التي فجرت ثورة ٢٣ تموز/ يوليو، كما كان عاملاً حاسماً في تقدم وعي عبد الناصر للمسألة الفلسطينية، إلا أن هذا الوعي بقي آنذاك غائماً إلى حد ما. غير أن اشتراكه هذا في الحرب لعب دوراً كبيراً في إعطاء نزعة القومية طابعاً أكثر راديكالية. في الفالوجة، حيث كان عبد الناصر محاصراً مع جنوده من قبل الهاغاناه، اكتشف أن مصر " فالوجة أخرى على نطاق كبير"، وأنه لا يحارب في أرض غريبة بل دفاعاً عن النفس (٥).

هل كان عبد الناصر يسقط وعيه لقضية فلسطين في العام ١٩٥٤ (أي عندما كتب فلسفة الثورة) على وعيه لها في العام ١٩٤٨؟ هذا هو المرجح، لأن نزعة القومية العربية لم تتوضح إلا في العام ١٩٥١ (٦). والحال أن مثل هذا الوضوح هو الذي يعطي العربي غير الفلسطيني مزيداً من الوعي بجوهر المسألة الفلسطينية من جهة، ويجعل التزامه بها مصيرياً من جهة أخرى.

ولكن إذا كان وعي عبد الناصر القومي العربي قد توضح في العام ١٩٥١، إلا أننا نعتقد أن هذا الوضوح لم يصل إلى حد التبلور في العام ١٩٥١، كما ذكر عبد الناصر، بل في العام ١٩٥٣، عندما بدأت المناوشات الأولى بينه وبين القوى الإمبريالية، وأمريكا بالتحديد، التي رفض منذ العام ١٩٥٢ توقيع اتفاقية الأمن المتبادل معها مقابل صفقة أسلحة عرضتها أمريكا. ولقد كان تدشين محطة إذاعة صوت العرب، في أيار/ مايو ١٩٥٣، أول أمانة قاطعة على ذلك.

ما العناصر التي ساهمت في بلورة وإنضاج هذا الوعي القومي العربي لدى عبد الناصر؟ تجدر الإشارة أولاً إلى أن انشغال مصر بالتجديد والتحديث، فضلاً عن التحرر من الاستعمار، يشكل المحتوى الرئيسي لنزعتها القومية، بما في ذلك النزعة القومية المصرية. فعلى الرغم من حضور الماضي في الحاضر المصري، الذي يزن على محاولات النهضة، إلا أن هذه النهضة في الرؤية القومية المصرية ليست إحياء ماضي سلف، فالالتفات إلى الماضي في النزعة القومية المصرية أضعف مما هو في البلدان العربية الآسيوية، رغم أن السلفية وبصمات المجتمع القديم تبدو أقوى في مصر. ومن هنا لم يكن النزوع الوحدوي الناصري بعثاً للماضي العربي، كما في المشرق العربي الآسيوي، بل بالأحرى إحياء لحاضر ليس مشلولاً وهزياً وخانعاً لا لأنه مشردم بفعل الإمبريالية ومضطهد من قبلها. ولهذا فإن النزعة القومية العربية أصبحت أكثر عصرية وأكثر راديكالية عندما صبت من جديد في قالب الناصري . وهذا يفسر لماذا نمت النزعة

القومية العربية في مصر وقويت في الصراع ضد الإمبريالية، في حين أن النزعة القومية العربية في بلدان المشرق العربي، وبسبب من بروز العنصر السلفي، فجرت ثورتها الأولى بقيادة لورانس الفعلية وعايشت الإمبراطورية، رغم تناقضات معها خفيفة أو شديدة إلى هذا الحد أو ذاك، وفي هذه الفترة أو تلك. ألم تتوهم الحركة القومية العربية المشرقية، مثلاً، في أوائل الخمسينيات، أن من الممكن أن تقوم وحدة بين سوريا والعراق، عراق نوري السعيد والعرش الهاشمي، والإمبريالية الإنكليزية بالنتيجة والفعل.

لقد عاشت مصر تحت نير الاستعمار الإنكليزي منذ أواخر القرن التاسع عشر، الأمر الذي جعل الوعي المصري للظاهرة الاستعمارية أكثر وضوحاً وعيانية ومرارة. أما المشرق العربي والآسيوي فلم يواجه الاجتياح الاستعماري المباشر إلا مع الحرب العالمية الأولى وبعدها، ومن هنا القصور المشرقي في وعي مسألة الاستعمار عن الوعي المصري لها. هذه الإشارة تلقي بعض الضوء على فهم عبد الناصر لمسألة الوحدة العربية ومسألة فلسطين. يقيناً أن عبد الناصر قد تحدث مراراً عن قضية فلسطين حديثاً نشعر وكأنه الجرح يتكلم، ولكن خلفية تفكيره في مسألة الوحدة ومسألة فلسطين أعمق وأوسع وأكثر عقلانية وعصرية.

جمال عبد الناصر حسين، حسين البوسطجي، الذي يلاحقه ويؤرقه هاجس الإذلال الاستعماري (وهذا الهاجس لاحق ماوتسي تونغ وهوشي منه أيضاً)، لم يكن يريد شيئاً سوى أن يكون الشعب الذي ينتمي إليه بشراً فحسب. إن كلمة " إرفع رأسك يا أخي "، التي قالها في العام ١٩٥٣ في قرية الزعفران، تكاد تلخص كل حلمه. (وحلم كل مصري عربي) العظيم والدائم. ولقد أكتشف عبد الناصر أن المصريين، وحدهم، لا يمكن أن يتحرروا تحرراً فعلياً وكاملاً في عالم العمالة وعالم الإمبريالية. هذا الاكتشاف قاده إلى اكتشاف آخر هو الوحدة العربية. والوحدة العربية قادتته إلى اكتشاف قضية فلسطين، الممتزجة والمشروطة بمسألة الوحدة العربية.

لم يكن للسلفية من وزن مهم في نزوع عبد الناصر الوجداني. والفكرة المحورية لديه تتلخص في أن الوحدة العربية هي أمضى سلاح في وجه الإمبريالية. ولقد توصل عبد الناصر، عبر رؤية تاريخية واستراتيجية، إلى المعادلة التالية: الوحدة العربية + البترول + المكان الجغرافي = تحرر من الهيمنة الاستعمارية وعودة إلى مسرح التاريخ (٧). ومن هنا كانت صيحة عبد الناصر التاريخية الثانية: " لقد انتهى عهد العزلة". هذه الصيحة، التي تدين كل قصور الرؤية الوطنية والقومية المصرية وضيق أفقها وافتقارها إلى الراديكالية، وضعت في موقع صدام دائم مع الاستعمار، وجعلت الناصرية، وهي حركة قومية بالأساس، في حالة تطور إلى أمام، من حيث وعيها ومن حيث تبدل وتجذر سيمائها أو بالأحرى لحظاتها التطبيقية.

هذه الخلفية للنظرة المصرية إلى الوحدة العربية، والمسألة الفلسطينية بالتالي، هي التي تضيء على الموقف التكتيكي الناصري إزاء إسرائيل عقلانيته الباردة، ولكن لهذه العقلانية (وهي عقلانية نسبية بالطبع ما دمنا متخلفين ولم نهضم، كما هضم الصينيون، مثلاً، العقلانية الغربية ممثلة بأعلى وأعماق لحظاتها، وأعني الماركسية- اللينينية) أسباباً أخرى أهمها أن الضربات الاستعمارية والإسرائيلية تكاد تكون مركزة على مصر (٨)، وأن "التراكم الثقافي في مصر أغنى بكثير (أو بالأحرى أقل فقراً) منه في أي قطر عربي آخر، فضلاً عن رسوبات النزعة

الإقليمية المصرية وما يرتبط بها وينبثق عنها من نزعات محافظة "تفضل السلامة عن طريق العزلة"، على حد قول عبد الناصر.

ولكن ثمة تساؤلات، بل شكوكاً، ما زالت تثار حول مسألة الالتزام الناصري عربياً، بسبب من موضوعة الدوائر الثلاث التي وردت في فلسفة الثورة.

إن هذه الموضوعة هي، في التحليل الأخير، جزء لا يتجزأ من نظرتة إلى مسألة الوحدة العربية ومسألة التحرر من النفوذ الاستعماري. فالدائرتان الإسلامية والأفريقية تبدوان، في نظر عبد الناصر، كقوى احتياطية أو صديقة للدائرة العربية في صراعها ضد الإمبريالية، لم يكونا في نظره ليشوشا أو ينازعا الانتماء العربي لمصر أو يتناقشا معه، بل يكملها. لم يبلغ عبد الناصر القوقعة الإقليمية المصرية ليقع في قوقعة إقليمية عربية، فضلاً عن أن اتجاه عبد الناصر الأفرو-آسيوي هذا، إنما هو امتداد مطور لاتجاه قائم في إيديولوجيا الأفغاني ومحمد عبده.

إن أفق عبد الناصر السياسي لم يستطع أن يعانق، عندما كتب فلسفة الثورة، ما اصطلح على تسميته الآن بالعالم الثالث كافة، فاقصر على جزء من هذا العالم المضطهد والكادح يقع في مدى بصره، جغرافياً وتاريخياً (٩). إذا فالسياق الذي طرح فيه عبد الناصر فكرة الدائرتين الأفريقية والإسلامية إنما كان سياق كفاح ضد الاستعمار ولم يكن لينطوي على نظرة جغرافية أو دينية (١٠). وهذا ما يفسر رفضه، وهو يفاوض الإنكليز للجلاء عن مصر، ضم تركيا إلى الدفاع المشترك مع الدول العربية.

ليس لنا أن ندهش إذاً إذا كان عبد الناصر، في فلسفة الثورة، قد خص الدائرة الأفريقية بصفحة واحدة والدائرة الإسلامية بصفحة أخرى، في حين أن حديثه عن الدائرة العربية وقضية فلسطين قد استغرق خمس عشرة صفحة. لا شك أن ثمة عناصر إسلامية في إيديولوجيا عبد الناصر القومية العربية، في بداية الثورة على الأقل، ولكن تلاحم النضال المصري مع نضال الشعوب العربية وتجربته مع الإخوان المسلمين ومع السعودية، ووقوع إيران وباكستان تحت النير الإمبريالي، وتقدم وعيه "الاشتراكي"، كل هذا جعل مفهومه للعروبة والوحدة العربية يفقد رويداً رويداً ملامحه الإسلامية. إذاً فالدائرتان الأفريقية والإسلامية، إنما كانتا نافذة على العالم ومصيره، بخلاف الانغلاق العربي للإيديولوجيا القومية التقليدية في بلدان الشرق بخاصة.

-٣-

عندما التقط عبد الناصر، عبر الوحدة العربية، جوهر المسألة الفلسطينية وحقيقة الغزو الصهيوني إنما كان يسجل بذلك انتقالاً من مرحلة التلمس إلى مرحلة أريد أن أسميها بمرحلة الرومانسية الثورية. لماذا ثورية؟ ولماذا رومانسية؟

ثورية، لأن وصول عبد الناصر إلى السلطة كان بمثابة فتح صفحة جديدة في الرؤية الرسمية العربية والموقف الرسمي العربي إزاء مسألة فلسطين، بمعنى أن عبد الناصر كان أول حاكم عربي يعلن للجماهير العربية، خلافاً للحكام العرب وضدهم، أن المقصود ليس فلسطين بل العرب، وأن الاستعمار مسؤول عن هذه الجريمة، وبالتالي فإن الغرب ليس حكماً في النزاع بل هو طرف فيه، والقضية لن تحل مع الغرب ومن خلاله بل ضده (١١).

ورومانية، لأن عبد الناصر كان يرى إلى كارثة فلسطين بمثابة نتيجة للخيانة والتآمر (١٢). هنا، كان عبد الناصر، شأنه في تشخيصه الأول، يقف مع الجماهير العربية، سواء في احتدام عواطفه أم في حدود رؤيته. يقيناً أن مثل هذا التشخيص قد التقط سبباً من أسباب الكارثة (١٣)، إلا أن هذا السبب ليس جذر الكارثة من جهة، كما أنه كونه السبب لا يعني أن إلغائه سيفتح طريق "نيفسكي"، المستقيم الرحب، القصير، لإزالة الكارثة. أضف إلى ذلك أن عبد الناصر، في هذه المرحلة الرومانية الثورية، وإن كان قد أكد بحق مسؤولية الاستعمار في كارثة فلسطين، إلا أنه لم يمسك تماماً، بسبب قصور وعيه للظاهرة الإمبريالية، بالأفاق التاريخية للصراع العربي-الإسرائيلي وبانعكاسات الحلف الصهيوني-الإمبريالي على المعركة.

كيف كان عبد الناصر يتصرف طوال هذه الفترة الرومانية الثورية، التي انتهت مع العدوان الثلاثي في العام ١٩٥٦ هذا ما سنحاول توضيحه عبر استعراض بعض الأحداث والوقائع التي نعتقد أنها مفيدة لإنارة البحث : بادئ ذي بدء، تجدر الإشارة، كي نلقي ضوءاً سريعاً على استراتيجية إسرائيل وبالأحرى نظرتها التاريخية، إلى أن الجبهة الإسرائيلية المصرية لم تشهد اعتداءات إسرائيلية على مصر طوال سنوات حكم فاروق بعد حرب العام ١٩٤٨، وبقيت الحال كذلك، في ما عدا حادثة السفينة بيت كالم وقضية لافون (١٤)، حتى ٢٨ شباط/فبراير ١٩٥٥، حيث شنت إسرائيل عدواناً واسع النطاق على القوات المصرية في غزة، ذهب ضحيتها سبعة وثلاثون من العسكريين المصريين وتسعة من المدنيين الفلسطينيين.

في الفترة الأولى من هذه المرحلة حارب عبد الناصر على جبهتين رئيسيتين : حارب في الجبهة الأولى لتصفية بعض الاتجاهات الليبرالية والإصلاحية بين الضباط الأحرار وللقضاء على الإخوان المسلمين والأحزاب كافة، وحارب في الجبهة الثانية لكي يظفر أخيراً بجلاء الجيوش الإنكليزية عن مصر بعد احتلال دام أكثر من نصف قرن. وفي الفترة الثانية من هذه المرحلة كان محور جهد عبد الناصر منصباً على تسليح الجيش المصري أولاً وعلى محاربة المحاولات الإمبريالية الرامية إلى إدخال المشرق العربي في أحلاف استعمارية، ما لبثت أن تبلورت في حلف بغداد الذي وقع في كانون الثاني/يناير ١٩٥٥. ومن المناسب هنا، وفي هذه الأيام بالذات، أن نذكر، مروراً، بأن عبد الناصر قد أمر في الربع الثاني من العام ١٩٥٤ بتشكيل فرق للفدائيين الفلسطينيين، وهو القرار الذي اعتبره بعض الصحافيين الغربيين بمثابة النذر الأولى لحرب عربية-إسرائيلية جديدة (١٥).

شعور عبد الناصر بالخطر الصهيوني، وتجربته المرة كضابط في الجيش، بسبب قصور السلاح المصري وفساده في حرب العام ١٩٤٨، جعله يعتبر هدف بناء جيش قوي أحد الأهداف الستة لثورة ٢٣ تموز/يوليو. ووضع بالفعل هذا الشعار في أمر اليوم. إن رفض عبد الناصر الأحلاف الاستعمارية، بل حربه ضدها، وامتناع الدول الإمبريالية عن إمداد مصر بالسلاح إلا شرط قبولها الدخول في هذه الأحلاف، حشر عبد الناصر في مأزق استمر يعانيه بتمزق حوالى سنتين ونصف السنة.

لم هذه المدة التي تبدو لنا، اليوم، طويلة؟ الأسباب كثيرة. لعل أهمها: تبدل سياسة الاتحاد السوفياتي إزاء مصر، حسم جزء مهم من التناقضات في قيادة الضباط الأحرار، انتظار إتمام جلاء القوات البريطانية عن مصر، الوقت الذي قضاه عبد الناصر، شأنه في ذلك شأن أي مواطن عربي، للخروج من المحارة أو من عملية التعليل والتكليف الاستعمارية، اتساع أفقه السياسي نحو مزيد من النضج من خلال تأثيرات باندونغ، يأسه من احتمالات تسليح غربية بعد أن اتسعت شقة خلافه مع الغرب بسبب رفضه سياسة الأحلاف، وأخيراً- لا آخراً- التحدي العسكري الإسرائيلي الذي تمثل في عدوان ٢٨ شباط/فبراير ١٩٥٥ على غزة، حيث تجلى للعيان، مجدداً، الضعف العسكري المصري.

لماذا العدوان على غزة؟ وما نتائجها المباشرة وغير المباشرة؟ لننتذكر أن حلف بغداد قد وقع، بعد ضغوط وتمهيدات ومناورات استمرت أكثر من سنة، في كانون الثاني/يناير ١٩٥٥. وبعد شهر فقط شنت إسرائيل هذه الغارة، التي لا سابق لحجمها في حوادث الحدود بين مصر وإسرائيل. لقد أرادت الإمبريالية، عبر إسرائيل وبواسطتها، أن تلقن عبد الناصر درساً بسبب موقفه من حلف بغداد. والتقط عبد الناصر المحتوى السياسي لهذه الغارة، التي كانت نقطة تحول حاسمة في تطور ثورة ٢٣ تموز/يوليو (١٦). فشن هجوماً استراتيجياً (إذا صح التعبير) على الجبهة الإمبريالية، مترافقاً مع تراجع تكتيكي، غير ناجح، على الجبهة الإسرائيلية (١٧).

لقد أثارت هذه الغارة الإسرائيلية على غزة ما يشبه الزلزال في تطور الحياة العربية والثورة العربية. فالشعب العربي، الذي كان شبه مستكن داخل بيضة ذات قشرة صلبة، هي القشرة الإمبريالية، كسر هذه القشرة، بيد عبد الناصر، لكي يكتشف أن في العالم عالماً آخر غير الغرب الإمبريالي. إن عبد الناصر، عندما اشترى السلاح من الدول الاشتراكية، لم يأت بالسلاح فحسب، بل جاء برؤية جديدة للعرب، وذلك لأنه "حرك أمراً كان الشعب المصري (والعربي) محروماً منه منذ زمن طويل، ألا وهو الإيمان بوجود حرية أو حل خارج الإطار الاستعماري أو نصف الاستعماري" (١٨).

هذه الغارة إذاً كانت نقطة انطلاق لسلسلة أحداث، أمسك بعضها برقاب بعض وصولاً إلى ثورة ١٤ تموز/يوليو في العراق، مروراً باستيراد السلاح من الدول الاشتراكية وتأميم قناة السويس والصراع ضد مبدأ أيزنهاور وافشاله وقيام وحدة العام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا. وهكذا أكدت قضية فلسطين من جديد مكانها المركزي في الثورة العربية: لقد كانت حجر الانهيار بالنسبة إلى أنظمة وأوضاع العام ١٩٤٨، وها هي في العام ١٩٥٥ تصبح رافعة الثورة العربية في انطلاقها الجديدة.

حصول مصر على السلاح، متزامناً ومترافقاً مع اضطرار الصراع بين الحركة القومية العربية بقيادة عبد الناصر وبين الإمبريالية، وشعور إسرائيل أن في مصر محاولة جادة لبناء دولة حديثة، جعلها- أي إسرائيل- تتجه لضرب هذه القوة الصاعدة قبل أن تقف على قدميها. لا شك أن وصول بن غوريون إلى رئاسة الوزارة في ٢١ شباط/فبراير ١٩٥٥، بعد إقصاء موشي شاريت الذي كان من أنصار تكتيك مرن إزاء العرب، كان سبباً مباشراً في تنظيم عدوان ٢٨ شباط/فبراير على غزة، ولكن من الخرق الاعتقاد أن المسألة هي مسألة مجيء فريق متصلب، فريق الصقور، وإبعاد فريق مرن مسالم، فريق الحمام، كما يميل إلى ذلك تفسيراً رودنسون وفانشتوك

(١٩)، والعديد من اليساريين الأوروبيين والعرب. ينبغي أن ينظر إلى عودة بن غوريون من زاوية اشتداد الصراع بين الحركة القومية العربية والإمبريالية بأحلافها ومشاريعها، وبالإضافة إلى ذلك فإن بن غوريون ليس مجرد زعيم فريق متصلب، بل إن عودته إلى رئاسة الوزارة في الفترات الحاسمة (وأن ينفذ خصومه سياسته. مثلاً : إشكول في حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧)، إنما يعني أنه هو الشخص الذي يجسد حقيقة إسرائيل ومصيرها، وأنه رجلها التاريخي، وهو وحده (ومدرسته بالتالي) من بين الساسة الإسرائيليين الذي يرى ببصيرة، رغم أوهامه الأيديولوجية، المسار التاريخي للصراع العربي- الإسرائيلي.

قبل أن نتابع سرد الأحداث المهمة وصولاً إلى العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، لا بد من الإشارة إلى أن إسرائيل، فضلاً عن محاولتها منع جلاء القوات الإنكليزية عن مصر (قضية لافون) كانت مصممة منذ العام ١٩٥٤ على ضرب مصر عسكرياً، وكان ثمة خطة إسرائيلية فرنسية بهذا الشأن (٢٠)، كما أن بن غوريون طلب إلى موشي دايان، الذي كان رئيساً للأركان الإسرائيلية، إعداد خطة لضرب مصر في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٥ (٢١)، ولكن مجلس الوزراء الإسرائيلي رفضها في ذلك الحين. "

وعندما أمم عبد الناصر قناة السويس، لم تترك إسرائيل فرصتها تمر، فانضمت إنكلترا إلى التحالف الفرنسي- الإسرائيلي، وباشرت إسرائيل العدوان، با لاشتراك مع دبابات يقودها جنود وضباط فرنسيون بمساندة غطاء جوي فرنسي- إنكليزي، أعقبه غزو فرنسي- إنكليزي لقناة السويس ومدنها. وانتهت الحملة بهزيمة عسكرية لمصر. ولكن بنصر سياسي ضخم، سببه الأساسي وقوف الاتحاد السوفياتي ضد العدوان وعدم دعم أمريكا له : الاتحاد السوفياتي دعماً لنضال الشعب العربي، وأمريكا في محاولة لاحتلال مواقع الاستعمار القديم.

الأسباب التي دفعت فرنسا وإنكلترا للعدوان معروفة، ولسنا بمعرض الحديث عنها. وبعض الأسباب التي دفعت إسرائيل إلى العدوان معروفة أيضاً : الاعتراف !! (٢٢) وفتح مضائق تيران أمام الملاحة الإسرائيلية. ولكن هذه بعض الأسباب لا كلها، رغم أن اللغظ الشائع لا يلوكمها إلا هي.

إذا كانت إسرائيل تريد الاعتراف فقط ، فلماذا لم تحاول فرضه من قبل على نظام فاروق، بل لماذا لم تحاول فرضه على ثورة ٢٣ تموز/ يوليو قبل أن تتضح وتنبور اتجاهاتها القومية العربية والمعادية للإمبريالية؟ وسؤال آخر: لماذا لم تحاول إسرائيل الحصول على اعتراف الأردن أو سوريا؟ لماذا لا تبدأ بالأطراف الأقل قوة (بل بالأكثر ضعفاً) وتفرض عليها الاعتراف، لتنتهي بالطرف العربي الأكثر قوة (مصر) ما دام هذا الطرف لديه الاستعداد للأخذ والرد- إذا سلمنا جدلاً باتهامات أعدائه- حول مسألة الاعتراف بإسرائيل؟ وثمة أمر آخر: إذا كان هم إسرائيل الاعتراف فقط والعيش فقط ، ألا يمكنها أن تتخلى عن بعض الأراضي (الأراضي التي احتلتها ولم تعتبر تابعة لإسرائيل بموجب قرار التقسيم) مقابل العيش بسلام؟ وما قيمة أراض ما إذا كان التخلي عنها يأتي بالسلام والاعتراف؟

الإجابة الصحاحية عن هذه الأسئلة تلقي ضوءاً كاشفاً عن المنظور التاريخي الإسرائيلي للصراع العربي- الإسرائيلي من جهة، وعلى أرضية وخلفية السياسة الإسرائيلية من جهة أخرى . هذا ما

سنتحدث عنه بعد قليل ببعض التفصيل، ونكتفي الآن بتثبيت ما أورده مكسيم رودنسون حول الأسباب العميقة والبعيدة للعدوان الإسرائيلي في العام ١٩٥٦:

"... فبالنسبة إلى بن غوريون، الذي كان يقود اللعبة من الجانب الإسرائيلي، كانت المسألة هي تسديد ضربة كبيرة تجبر العرب في النهاية على الاعتراف بإسرائيل كما هي، وعلى إنهاء حالة الحرب الضمنية بسبب هجمات الفدائيين، التي أصبحت جدية بما فيه الكفاية آنذاك، وعلى فتح مضائق تيران، ولكن لا شك أن خلفية تفكير بن غوريون تنطوي على ضم محتمل لأراضي (عربية). وإن كل زلزلة للوضع ربما تؤدي إلى تغييرات مفيدة. وفي كل الأحوال، فإن بن غوريون، الذي تسلط عليه منذ زمن طويل الخوف من انتفاضة العالم العربي، والذي كان يتساءل ما إذا كان عبد الناصر سيصبح مصطفى كمال الذي سيخلص هذا العالم من الفوضى والتضعف، قدر أن الوقت مؤات للضرب وقهر القوة التي تصعد، أو على الأقل الحصول على الاعتراف في ظرف تتمتع فيه إسرائيل بموقع قوة، قبل أن يفوت الأوان. كما ينبغي الاستفادة من تضافر ظروف تدفع إلى جانب إسرائيل دولتين غربييتين مسلحتين جداً، وهي ظروف قد لا تحدث من جديد قبل مضي زمن طويل" (٢٣).

لقد وصفنا موقف أو رؤية عبد الناصر، بعد اكتشافه الوحدة العربية، بأنها رومانسية ثورية. فلنضبط حدود هذا التعبير عبر النقاط العناصر الواقعية المتضمنة في هذه الرؤية ووزنها، ولنحاول تلخيص تجربته في هذه المرحلة والمعطيات التي استجراها من تجربته:

أ- كضرب من استمرار لحركة النهضة المصرية، ولأن عبد الناصر كان أول قائد عربي قد أدرك مشكلة التحالف وأهميتها وإلحاحها، لذا كانت التنمية هاجسه الرئيسي إن لم أقل المركزي. وكان هذا الهاجس أحد عوامل اصطدامه مع الإمبريالية أو تهادنه التكتيكي المتقطع معها.

ب- رغم أن عبد الناصر كان يرى صلة الإمبريالية بإسرائيل، إلا أن قصوره في وعي الظاهرة الإمبريالية عموماً حال دون رؤيته الطابع العضوي لصلة إسرائيل بالإمبريالية إلا من خلال تجربة عدوان العام ١٩٥٦. ولقد فوجئ عبد الناصر بقبول إنكلترا وفرنسا تواطؤ إسرائيل معهما في العدوان (٢٤).

ج- إن عبد الناصر، رغم رومانسيته الثورية، إلا أنه لم يعلن، حتى في هذه المرحلة بالذات، أنه سيحرر فلسطين. لقد كان يقف عند حدود المطالبة بقرارات هيئة الأمم المتحدة، بما فيها قرار التقسيم، وكان يكرر، بصيغ عامة، الحديث عن استرداد حقوق شعب فلسطين.

د- إننا نلمح الجانب الرومانسي في رؤية عبد الناصر في خطاب له، بعد تلقي الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا، قال فيه إن الجيش المصري أصبح أقوى جيش في الشرق الأوسط (٢٥). ولكن هذا الجانب اختفى بعد عدوان العام ١٩٥٦، وأصبح يقول إننا نبني جيشاً لكي لا نصبح لاجئين (٢٦).

هـ- لا شك البتة في أن عبد الناصر كان يعتبر، حتى في هذه المرحلة، تحرير فلسطين بمثابة هدف رئيسي من أهداف الثورة العربية (سنشرح هذا بالتفصيل بعد قليل)، ولكنه لم يضع هذا الشعار في أمر اليوم (٢٧)، وأن عبد الناصر عندما عمل على تقوية الجيش المصري إنما كان

يهدف فقط إلى الثبات في الدفاع، أو، في أحسن الأحوال، إحراز بعض مكاسب تكتيكية صغيرة تساعده في المعركة الكبرى في سبيل الوحدة وضد الإمبريالية.

-٤-

بعد هذه التجربة، دخل عبد الناصر مرحلة أريد أن أسميها مرحلة "الواقعية الثورية"، التي لازمته حتى غيابه. خلال هذه المرحلة سمعنا نبرته ترتفع في فترة وتخفت في فترة أخرى، بل رأينا تراجعاً تكتيكية في فترة ثالثة. التقاط ملامح هذه الواقعية الثورية يقتضينا متابعة بعض الوقائع والأحداث:

لقد تمخض العدوان الثلاثي عن أحداث وتطورات كبيرة وكثيرة، لعل أهمها وحدة العام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا، التي ولدت وسط حالة حرب سياسية من أكبر حالات الحرب الباردة التي شهدتها العالم بعد الحرب العالمية الثانية، ثم ما لبثت هذه الوحدة أن فجرت بدورها سلسلة من الأحداث، أهمها ثورة ١٤ تموز/ يوليو، التي وضعت العالم كله على شفير حرب عالمية.

من التكرار أن نتحدث عن ردود فعل الدول الإمبريالية إزاء الوحدة. ولكن ما ورد هي ردود فعل إسرائيل؟ هياج وشعور بمأزق والتفكير بضربة عسكرية جديدة تفصم الوحدة (٢٨). كيف أصبح الموقف العربي- الإسرائيلي بعد وحدة العام ١٩٥٨؟

من الملاحظ أن إسرائيل قد أوقفت تقريباً اعتداءاتها على حدود الجمهورية العربية المتحدة، وبخاصة على حدود سوريا، حتى إذا افترضنا أن قوات الطوارئ الدولية، على الحدود المصرية- الإسرائيلية، كانت سبباً في منع الاعتداءات الإسرائيلية. إن العدوانين الإسرائيليين الوجوديين في شباط/ فبراير وآذار/ مارس ١٩٦٠ على الحدود السورية، قد قوبلا برّد كان لأول مرة ذا مغزى، كما قام الجيش الأول (الجيش السوري) بعملية مضادة كانت أشد من العدوانين الإسرائيليين (٢٩).

طبعاً لم تتعدّ الجمهورية العربية المتحدة، خلال فترة الوحدة، موقف الدفاع.

هذا صحيح. ولكن إسرائيل تخلت، كما يبدو، مؤقتاً على الأقل، عن موقف الهجوم والردع. وهذا يفسر بأن ميزان القوى العسكري المحلي أصبح متأرجحاً وحساساً. هذا التأرجح وهذه الحساسية في ميزان القوى العسكري لم ينجما بالطبع عن مجرد الجمع العددي للقوة العسكرية المصرية مع القوة العسكرية السورية، فليس للجمع من وزن عسكري جدي إذا بقي الجيشان يتحركان كجيشين مستقلين وإن متضامنين (٣٠)، بل نجما عن تحول سببه وحدة الجيشين المصري والسوري وامكانية عملهما كجيش واحد (٣١).

من الزاوية السياسية أخذت إسرائيل تتحدث لغة جديدة إلى حد ما. يقيناً أن إسرائيل لم تتراجع عن مواقعها الأساسية، ولكن لغة التهديد بالقوة قد خفنت (٣٢). هذا من جهة، ومن جهة أخرى اتجه تحرك إسرائيل- ونكرر: بسبب قيام الوحدة- إلى إقامة حلف بين الدول التي تحيط بأطراف الوطن العربي، فاقتراح دايان، في ٨ أيار/ مايو ١٩٥٨- بدعم من بن غوريون- على مونتغمري إقامة حلف بين إسرائيل وتركيا والحبشة (٣٣). كما حاول بن غوريون الحصول على تعهدات و ضمانات من الحلف الأطلسي لحماية حدود إسرائيل (٣٤). وأخيراً باشرت أمريكا، لأول مرة

وبصورة علنية، تزويد إسرائيل بالأسلحة وبخاصة الصواريخ (٣٥). وزادت المساعدات والقروض السنوية المقدمة من الغرب الإمبريالي في فترة الوحدة بنسبة قدرها ٣٥ بالمئة عن السنوات الثلاث السابقة للوحدة (٣٦). وبعد الوحدة فقط نبتت في إسرائيل فكرة صنع قنبلة ذرية تساعدها في ذلك فرنسا (٣٧). وقد لوحظ أيضاً أن المعدل الوسطي السنوي للهجرة إلى إسرائيل الذي كان خلال السنوات الأربع السابقة للوحدة (٥٤-٥٧) ٤٤.٦٠٠ مهاجر، قد أصبح، خلال سنوات الوحدة الأربع (١٩٥٨-١٩٦١) ٢٩.٧٥٠ مهاجراً، وهذا يعني أن المعدل الوسطي للهجرة قد هبط خلال سني الوحدة بنسبة قدرها ٣٣ بالمئة (٣٨).

-٥-

لقد كان مقتل وحدة العام ١٩٥٨، أي انفصال ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٦١، بمثابة حجر الانهيار الذي هوى بالثورة العربية وصولاً إلى هزيمة الخامس من حزيران/يونيو ١٩٦٧. ولقد أدرك عبد الناصر، برويته التاريخية، هول الكارثة، كما أدركت ذلك الجماهير الفلسطينية، بغريزتها الثورية، وعلى نحو أوضح وأحد من الشعب السوري، وأوضح وأحد بكثير من الشعب المصري (٣٩).

فترة ما بعد الانفصال، وصولاً إلى حرب الأيام الستة، تشكل مرحلة مهمة في تطور وعي عبد الناصر لقضية فلسطين، كما تشكل خطوة إلى أمام في مصارحته جماهير الأمة العربية بتعقيدات مسألة النزاع العربي-الإسرائيلي. وفضلاً عن ذلك، ففي هذه الفترة بالذات ألقى المزيد من الضوء على حقائق الوضع العربي ومفاصل أحداثه. لذا لا بد من متابعة تطور مواقف مختلف أطراف اللعبة.

أ- إن مؤامرة الانفصال، التي تواطأ فيها حلف رجعي عربي-إمبريالي-بيروقراطي عسكري سوري، والتي نجحت بسبب قصور الوعي لدى قيادة دولة الوحدة مضافاً إليها العامل الجغرافي، لم تعد عبد الناصر إلى "جادة العقل"، حسبما كانت تقدر الدوائر الإمبريالية. لقد دفعت عبد الناصر إلى مزيد من الراديكالية سواء على الصعيد الداخلي أو العربي. أما على الصعيد الدولي، في فترة شهدت انفراجاً عاماً في التوتر بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، فقد عمل عبد الناصر على إزالة ما تبقى من شوائب في العلاقات المصرية-السوفياتية وناور تكتيكياً مع الولايات المتحدة، التي وإن لم تكن قد قررت آنذاك إسقاط عبد الناصر، إلا أنها تابعت عملية صدّه وحصره داخل مصر، وتجلت ذلك واضحاً في دورها في دعم المملكة العربية السعودية في حرب اليمن، حيث قدرت، بالاشتراك مع السعودية، أن تتدخل عبد الناصر العسكري في اليمن هو مناسبة للقضاء عليه عبر تزمين المشكلة اليمنية ونزف الجيش والاقتصاد المصريين (٤٠).

وإذا كان كينيدي قد حاول إقامة جسر مع مصر، بعد فشل مبدأ أيزنهاور، على أساس خط إمبريالي جديد مرن، إلا أن هذه المحاولة سرعان ما ارتطمت بجدار النزاع العربي-الإسرائيلي، ثم ارتطمت ثانية بسبب تأميمات العام ١٩٦١ واشتراك المخابرات الأمريكية في تدبير مؤامرة الانفصال في ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٦١. لقد حاول كينيدي أن يجد حلاً للنزاع العربي-الإسرائيلي، فأجابه عبد الناصر برسائل تعيد طرح المشكلة بأساسها من جديد (٤١)، أما إسرائيل فقد أجابت كينيدي بأن الوقت غير مناسب للتسوية (٤٢). وما لبث كينيدي أن تابع تزويد إسرائيل بالأسلحة الأمريكي، حيث أصبحت إسرائيل بحاجة ماسة، بعد أن اتجه الجنرال ديغول إلى تبني

خط تقارب مع العرب (ولكن ليس على حساب إسرائيل بالطبع)، وبعد أن اتجهت ألمانيا الغربية، بسبب الضغوط العربية، إلى إيقاف الدفعات الكثيفة من الأسلحة. وهكذا وقعت في أيلول/سبتمبر ١٩٦٢ اتفاقية بين أمريكا وإسرائيل لتزويد الأخيرة بصواريخ "هوك" الأمريكية. وكانت هذه الاتفاقية، كما لاحظت غالينا نيكيتينا، نقطة تحول جديدة في السياسة الأمريكية إزاء إسرائيل (٤٣). حقاً إن الولايات المتحدة كانت تزود إسرائيل بالأسلحة، تدليساً وخداعاً للعرب، كما لاحظ رودينسون (44) (Rodinson)، بواسطة ألمانيا الغربية، إلا أنها في العام ١٩٦٢ انتقلت علناً وصراحة إلى اتخاذ هذا الموقف، الذي يشكل ارتسماً لموقفها الهجومي الذي شهد ذروته الساخنة في العام ١٩٦٧.

ب- في سوريا عند الانفصال، شنت حملة مركزة وكثيفة ومستمرة على عبد الناصر، قادها على الصعيد الإعلامي أكرم الحوراني وأحمد عسة (٤٥). وتركزت الحملة على اتهام عبد الناصر بالعمالة لأمريكا وخيانة قضية فلسطين ومطالبة عبد الناصر بسحب قوات الطوارئ الدولية من الأراضي المصرية ومنع إسرائيل من المرور في مضائق تيران. ودخلت في المعركة وسائل الإعلام الأردنية والسعودية، فكانت الإذاعات والصحف الأردنية والسعودية تذيع مقتطفات طويلة من مقالات أكرم الحوراني، وتذيع وتكتب تعليقات حول الموضوع نفسه وفي الاتجاه نفسه (٤٦).

ما لبث عهد الانفصال أن سقط. ولاح سراب وحدة ثلاثية مصرية-سورية-عراقية، ما لبث أن انطفأ. وبعد أحداث ١٨ تموز/يوليو ١٩٦٣ وانفراد حزب البعث بالسلطة، تفاقم الصراع بين القاهرة ودمشق. وكان الموقف من مسألة تحرير فلسطين إحدى أهم النقاط التي دار حولها هذا الصراع ومادة رئيسية في المعركة الإعلامية الناشئة بين العاصمتين. وبالتحديد في ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٦٤ (٤٧)، أطلق نفيير المعركة ضد عبد الناصر، الذي اتهم بأنه يقبض من الغرب المعونات والمساعدات لكي يؤجل معركة تحرير فلسطين التي أصبحت ناضجة، أو لكي يصفى قضية فلسطين. وبشكل عام، كانت المواجهة جد هجومية من جانب دمشق، وجد دفاعية من جانب القاهرة. استمرت الأخيرة تدافع عن "الوحدة طريق تحرير فلسطين"، في حين أن الأولى قبلت الشعار واعتبرت "تحرير فلسطين طريقاً للوحدة". وبعد ٢٣ شباط/فبراير ١٩٦٦، أعلنت دمشق أنها ستعمل لتقارب ما مع القاهرة، وكرست في الوقت نفسه شعار تحرير فلسطين كشعار مطروح في أمر اليوم، وأطلقت شعاراً جديداً آخر: "الجيش لحماية الثورة وحرب التحرير الشعبية لتحرير فلسطين". ثم تدافعت الأحداث، كما سنرى، وصولاً إلى حزيران/يونيو ١٩٦٧.

ج- بعد مقتل وحدة العام ١٩٥٨، وبعد أن ابتعدت عن أفق منظور احتمالات عودتها، شاع جو من اليأس في صفوف الجماهير الفلسطينية. صحيح أن عبد الناصر لم يضع تحرير فلسطين في أمر اليوم، إلا أن الجماهير الفلسطينية قد أدركت، بغريزتها الثورية، أن صعود القوة العربية إلى حد يقلب ميزان القوى لصالح العرب يشكل مفتاحاً لحل المشكلة. وفي جو اليأس والتراجع هذا أخذت أيديولوجيا المقاومة، التي كانت قد ولدت في صفوف بعض المثقفين الفلسطينيين العاملين في الدول العربية البترولية، والذين كان القسم الأعظم من قياداتهم في المناخ الفكري والسياسي للهيئة العربية العليا وحزب التحرير الإسلامي، تلقى بعض إصغاء في صفوف سكان المخيمات. أما سكان الضفة الغربية وغزة فكانوا، إلى حد كبير، بمنأى عن تأثيراتها. وقد تبلورت هذه الأيديولوجيا في أطروحات منظمة "فتح". أما المنظمات الأخرى، التي نشأت بعدئذ، وبدأت

تفكيراً مشابهاً ومنافساً في حركة القوميين العرب في العام ١٩٦٦، فلم تفعل شيئاً سوى السباحة في التيار الذي أطلقته فتح، مع إضافة تلاوين وهوامش ايديولوجية أخرى على بنیان فتح الايديولوجي نفسه.

في جو اليأس ولدت ايديولوجيا اليأس، ولكن توهمتها فتح ايديولوجيا التجاوز: لقد أصيب العرب بالترهل القطري (٤٨)، وسقطت الوحدة. إذا فالمفتاح هو الثورة الفلسطينية التي ستكون كفيلة بتطوير الأوضاع العربية، تحريراً ووحدياً، إلى الأمام (٤٩) . الموضوع قد تبدو متماسكة على الصعيد الفكري المجرد، ولكن ثمة ثغرة تلغمها: أين تحط الكفة في ميزان القوى المحلي، أفي الجانب العربي أم في الجانب الصهيوني؟ أي هل يؤدي تفجير الثورة الفلسطينية إلى "ديان بيان فو" أم إلى "بريست ليتوفيسك"؟ الوقائع بينت أن تطور الأحداث قد قاد إلى هزيمة ٥ حزيران/ يونيو وإلى مجازر أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠، وإن ارتسامات "بريست ليتوفيسك" عربي، وليس "ديان بيان فو" عربي هي التي تلوح في الأفق الآونة. وهذا البريست ليتوفيسك العربي سيصيب، أول ما يصيب، القضية الفلسطينية، دونما أمل في نهوض جديد في مستقبل منظور.

هل كانت هذه الارتسامات بعيدة عن تصورات فتح لأفاق المستقبل؟ لا.

مثلاً، ينقل إريك رولو رأياً لعضو، وصفه بالنافذ، في فتح، قبل حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧: "إننا نأمل إثارة الحرب. نحن نعرف جيداً أن الدول العربية ليست قادرة عسكرياً على تحرير فلسطين، ولكننا نريد على الأقل الوصول إلى هذه النتيجة المهمة جداً بالنسبة إلينا: القضاء على عبد الناصر، الذي هو، موضوعياً، عميل للصهيونية، لأنه يرفض القيام بأي عمل ضد إسرائيل" (٥٠).

هل كانت دمشق (تحديداً: قيادة صلاح الدين) وفتح اللتان التقتا حول طرح هدف تحرير فلسطين في أمر اليوم بواسطة حرب التحرير الشعبية، سبباً في إثارة حرب حزيران/ يونيو؟ لا، بالتأكيد، فاللعبة أكبر منهما بكثير. لقد كان ممكناً أن يكون بالفعل سبباً في إثارة الحرب لو أن العمل الفدائي كان أكثر فاعلية ضد إسرائيل، ولكن ما دام العمل الفدائي لم يكبد إسرائيل سوى قتيل واحد من بداية العام ١٩٦٧ حتى اندلاع حرب حزيران/ يونيو (٥١)، لذا يمكن القول إن مسألة العمل الفدائي ضد إسرائيل كانت بمثابة ذريعة استخدمتها إسرائيل والإمبريالية الأمريكية في لعبة قررها البيت الأبيض، كما سنرى بعد قليل، منذ زمن.

د- كيف تصرف عبد الناصر في هذه الفترة؟ ما ردود فعله؟ ما تأثير ذلك على الاتجاه العام للثورة العربية؟ على صعيد ميزان القوى العسكري، الذي اختل اختلالاً شديداً لصالح إسرائيل بسبب الانفصال، شكل عبد الناصر فرقة عسكرية جديدة، رغم شعوره بثقل الإنفاق العسكري على مجهودات التنمية، تعدل جزئياً ذلك الاختلال.

على الصعيد العربي العام، قام عبد الناصر بلف كوع إلى اليمين وتراجع إلى وراء. المعركة الحادة (٥٢) التي فتحها ضد السعودية وإيران، المدعومتين والمدفوعتين من قبل أمريكا، بسبب محاولتهما إنشاء الحلف الإسلامي، قد توقفت. ومن جهة أخرى، فإن معركة اليمن، رغم النزيف الذي سببته للاقتصاد المصري، ورغم بروز معارضة، تكاد تكون علنية، إقليمية ويمينية لعبد الناصر بسبب مشكلة اليمن في مصر بالذات، والتي كانت قد طرحت احتمالات تغيير في

السعودية التي كانت تشكل المركز الأخير والقوي للقوى التقليدية المتحالفة مع أمريكا. هذه المعركة أصبحت عبئاً لا يمكن مصر أن تتحمله إذا أرادت أن تواجه مضاعفات المسائل التي طرحت في المشرق. وهكذا أوقف عبد الناصر صراعاً طبقياً جدياً على الصعيد العربي العام. وقد تجلّى ذلك سواء في خطابه يوم ٢٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٣ الذي دعا فيه إلى عقد مؤتمر للقمة أو في محاولته حل مشكلة اليمن وسحب الجيش المصري.

وقد لوحظ في هذه الفترة، فترة ما بعد الانفصال وصولاً إلى خطابه في وفد المجلس التشريعي لغزة يوم ٢٢ تموز/ يوليو ١٩٦٢، أن لهجة عبد الناصر أخذت تشدد، إن لم نقل تركّز، على أن المعركة طويلة أولاً، وأن تحرير فلسطين مرتبط بالقضاء على التجزئة والتخلف ثانياً (٥٣). ففي رده على مطالبة عهد الانفصال بتحرير فلسطين، (وخطابه في وفد غزة كان هو الرد) تقدم عبد الناصر خطوة إلى الأمام في مصارحة الجماهير العربية برأيه حول مشكلة تحرير فلسطين، كما أنه لم يكن أقل صراحة في خطابه الذي دعا فيه إلى مؤتمر القمة الأول (٥٤).

ماذا قال عبد الناصر في هذين الخطابين بخاصة وفي تلك الفترة بعامة؟ قال بالضبط ما معناه: "إن قضية فلسطين هي أصعب قضية في العالم. ومن يقول لكم (للفلسطينيين) إنه وضع خطأً لحلها إنما يخدعكم . يجب أن نستعد لها بكل القوى المعنوية والمادية. من يقول لكم إن قضيتكم سهلة إنما يخدعكم ، لأنها ليست إسرائيل وحدها، بل من وراء إسرائيل. من يريد الحرب لا بد أن يكون مستعداً لها... ونحن لسنا على استعداد. ليس لدي خطة لتحرير فلسطين (خطة بمعنى برنامج محدد الخطوات والتوقيت). بالنسبة إلى هذه القضايا يجب أن نعرف متى نقف ومتى نهجم ومتى ننسحب. لقد كانت الوحدة عاملاً مساعداً . لقد كانت الوحدة البلاء الأكبر بالنسبة إلى بن غوريون (.. هذه الوحدة لم تعد قائمة الآن). فلسطين سنة ١٩٤٨ كانت متاجرة سياسية. لا يمكن أن ننسى فلسطين بالطبع، ولا يمكن أن نتخلى عنها، ولكن لا يمكن أيضاً أن نعالج قضية فلسطين بالطريقة التي عولجت بها سنة ١٩٤٨ بالمزايدات والبعد عن المسؤولية" (٥٥). وبعد أن بين عبد الناصر، بصراحة لا سابق لها، حدود قوة مصر، وبالتالي حدود المواجهة العربية- الإسرائيلية، كمواجهة دفاعية وجزئية، دعا إلى عقد مؤتمر قمة عربي غايته حشد القوى العربية لمعالجة موضوع ضخ إسرائيل لمياه نهر الأردن . كيف كان عبد الناصر ينظر إلى مشكلة مياه الأردن؟ وما هو الإطار الذي وضعه فيها؟ وهل كان عبد الناصر يتصور أن ثمة جدوى من وراء عقد مؤتمرات للقمة بهذا الشأن؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك، فما غاية عبد الناصر وأهدافه من وراء مؤتمرات القمة؟ وأخيراً ما حقيقة مشكلة مياه الأردن، وما أهميتها بالنسبة إلى إسرائيل، وهل كان عبد الناصر يتصور أن لا بد من مواجهة مع إسرائيل إذا حوّل العرب روافد الأردن؟

سنتناول هذا الموضوع باختصار شديد: منذ العام ١٩٦٠ كان عبد الناصر يتابع أعمال ومشروع إسرائيل لضخ مياه من نهر الأردن. وقد بحث عبد الناصر المسألة في مجلس وزراء الجمهورية العربية المتحدة من الزاويتين التقنية والسياسية، وأستبقى عبد الناصر الناحية العسكرية ليقررها في ضوء النتائج التي يمكن أن ينتهي إليها العمالان التقني والسياسي (٥٦). ويبدو أن سقوط الوحدة ومضاعفاته قد ألقى المسألة في الظل وأبعد المسؤولية المباشرة عن موضوع التحويل عن عبد الناصر.

عندما دعا عبد الناصر إلى عقد مؤتمرات للقمة، هل كان يتصور أن المواجهة بين العرب وإسرائيل قائمة لا شك فيها إذا حوّل العرب روافد الأردن؟ لا نعتقد ذلك، لا لأن مؤتمرات القمة لن تقدم شيئاً جدياً وحاسماً لمواجهة قريبة محتملة فحسب، بل لأن عبد الناصر لا بد أن يكون عارفاً أن تحويل روافد الأردن سيبقي لإسرائيل كميات من المياه توازي ما اقترح تخصيصه لإسرائيل بموجب مشروع إريك جونستون (٥٧)، فضلاً عن أن عبد الناصر يعرف أن مشكلة تحويل مياه الأردن ليست بمثابة خلق إسرائيل ثانية (٥٨)، كما كانت بعض الدعوات تروج آنئذ، كما أن مياه الأردن ليست كافية لحل المشكلة المائية في إسرائيل، التي كانت تعمل جاهدة لدفع أمريكا إلى مساعدتها لإقامة مشروع ضخم لتحلية مياه البحر. ومن جهة أخرى فإن الأشغال العربية لتحويل الروافد لن تكون شغالة إلا في عام ١٩٧٧. وعلى هذا يمكن أن نستنتج أن أهداف عبد الناصر من وراء مؤتمرات القمة كانت:

١- دفع الدول العربية للمساهمة المالية بتحويل الروافد وتكوين قوة عسكرية فلسطينية (حليفة له بالطبع).

٢- تشكيل جبهة عربية تمارس ضغوطاً سياسية واقتصادية على الغرب يبعد احتمالات المواجهة العسكرية (وهي احتمالات ضئيلة على كل حال ما دامت هذه المشكلة ليست حاسمة بالنسبة إلى إسرائيل).

٣- إن عبد الناصر، الذي لا يهمل الاحتمالات الصغرى، كما يقول منطق هيغل، قدر أن الإمكانات العربية مفيدة مهما ضوّلت في حالة مواجهة لا يتوقعها ولكن لا يستبعدّها.

٤- رغم أن عبد الناصر يقدر أن مصر هي وحدها التي ستجر إلى الحرب في حال وقوعها، وأن الدول العربية الأخرى هاربة سلفاً من المعركة، إلا أنه أراد قطع طريق المزادة بقضية فلسطين التي تمارسها دول عربية مختلفة ومتخالفة. ففي مؤتمرات القمة سيتحدد عياناً ما ستقدمه كل دولة فعلياً في هذا السبيل (٥٩). وبالفعل فقد نجح عبد الناصر، مؤقتاً على الأقل، من هذه الزاوية.

بيد أن دمشق ما لبثت أن صعدت مجدداً بالتعاون مع فتح، أجواء التوتر مع إسرائيل. ولكن قبل أن نكمل عرض الصورة من جانبها العربي، لا بد من وقفة سريعة لعرض الوجه الآخر للصورة.

هـ- لقد شهد العام ١٩٦٦ انتقال أمريكا من مرحلة صد وحصر عبد الناصر إلى مرحلة ضربه والقضاء عليه. ففي أوائل العام ١٩٦٦ أوقفت أمريكا شحنات القمح إلى مصر (٦). وفي ربيع العام نفسه قررت أمريكا- بحسب تعبير مايلز كوبلند- أن "اللعبة الكبيرة قد انتهت"، فقدمت لإسرائيل كميات كبيرة جداً من الأسلحة الهجومية "يمكن استخدامها لتدمير القواعد الجوية للعدو، وبخاصة قواعد الجمهورية العربية المتحدة" (٦١). ويحدد مايلز كوبلند- رجل المخابرات الأمريكي- بنود الإنذار الذي وجهته أمريكا لعبد الناصر بما يلي: ١- خروج مصر من المعركة العربية ٢٠- تصفية الاتحاد الاشتراكي ٣٠- إدخال نوع من التنظيم على الإدارة وتحديد عدد الموظفين بـ ١٨٠ ألفاً ٤- تحديد عدد الجيش بخمسين ألفاً ٥- إلغاء التأميم وإنهاء القطاع العام (٦٢). وكان من الطبيعي أن يرفض عبد الناصر الإنذار. وبحلول العام ١٩٦٧ أصبح هدف

السياسة الأمريكية، كما قال دافيد نيس، "إسقاط عبد الناصر وعزل مصر عن بقية العالم العربي" (٦٣).

و- ماذا كان يحدث في الجانب الإسرائيلي؟ إن مجيء ليفي إشكول في العام ١٩٦٣ إلى رئاسة الوزارة الإسرائيلية، بعد إبعاد بن غوريون، إنما سجل الرجحان النهائي لكفة النفوذ الأمريكي في إسرائيل، ونقل الأخيرة محور تحالفاتها الدولية من أوروبا الغربية إلى الولايات المتحدة. ولهذا فإن إشكول، الذي كانت سياسته التكتيكية إزاء العرب تختلف بعض الاختلاف عن سياسة بن غوريون، اتجه إلى تطبيق سياسة بن غوريون ذاتها، عندما قررت الإمبريالية الأمريكية تصفية حساباتها مع عبد الناصر.

بعد أن حُدد الهدف وفزر، وهو إسقاط عبد الناصر، وبعد أن تمت الاستعدادات العسكرية الإسرائيلية عبر صفقة الأسلحة الأمريكية الضخمة في أيار/ مايو ١٩٦٦، أصبحت المسألة هي مسألة إيجاد المبررات والذرائع الكفيلة بتغطية هذه العملية أمام الرأي العام الدولي من جهة، وشحن يهود إسرائيل لتعبئتهم للحرب واقناعهم بضرورتها من جهة ثانية (٦٤). وكان الفخ هو تهديد سوريا بالعدوان. ولقد وضع عبد الناصر قدمه الأولى في الفخ عندما وقع اتفاقية مع دمشق في ٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٦

ز- والسؤال الآن: كيف يمكن عبد الناصر، المخندق في مواقع دفاعية إزاء إسرائيل، أن يعقد اتفاقية دفاع مع سلطة تنادي بمواقف هجومية وحرب تحرير شعبية، رغم اختلاف سياساتهما والنزاع والشكوك والعداء بينهما؟ السؤال يبدو أكثر من محير، والإجابة القاطعة صعبة للغاية، ومع ذلك فثمة عناصر قد تلقي بعض الضوء على موقف عبد الناصر هذا: إن عبد الناصر، الذي كان على اقتناع من أن الإمبريالية الأمريكية تنوي إسقاطه (٦٥) وأن إسرائيل تعد العدة للحرب، رأى في هذا الاتفاق ضرباً من إرضاء للاتحاد السوفياتي، الذي كان يبدي بالغ العطف والدعم لدمشق، قد يكون سبباً في أن يتخذ الاتحاد السوفياتي موقف حماية لكليهما. ومن جهة أخرى، فإن من المحتمل أن يكون عبد الناصر قد قدر أن هذا الاتفاق سيخفف من تطرف مواقف دمشق بهذا الخصوص، ولهذا فإن المصادر المصرية المسؤولة أعلنت في ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٦ أن توقيع الاتفاق مع سوريا لا يعني أن الجيش المصري ملزم بالتدخل مباشرة ضد كل غارة إسرائيلية على المواقع السورية.

بعد أن رُبط عبد الناصر بسوريا، سهل على إسرائيل والإمبريالية الأمريكية إحكام الفخ: الحكومتان السوفياتية والسورية بالإضافة إلى المخابرات المصرية، تُعلمان عبد الناصر في ٨ أيار/ مايو ١٩٦٧ عن حشود إسرائيلية على حدود سوريا. مراقبو الأمم المتحدة يعطون تأكيدات معاكسة. الحكومة الإسرائيلية تنفي الحشود وإشكول يبدي للسفير السوفياتي استعداداً لمرافقته إلى المكان الذي يريد في شمال إسرائيل لإطلاعه عياناً على الوضع. إلا أن تصريح إسحق رابين في ١٣ أيار/ مايو، الذي أدلى به للصحف الإنكليزية يعطي، على العكس، الانطباع بوجود حشود كهذه، فضلاً عن أن المخابرات الإسرائيلية قد بنت برقيات للتضليل، التقطتها السفن السوفياتية في البحر المتوسط، كما التقطتها أجهزة الاستماع المصري، أوحى بأن الحشود قائمة وأن خطة الهجوم معدة وقيد التنفيذ (٦٦).

وعلى كل حال، فإن مسرحية الحشود العسكرية، التي كانت، كما أثبت غودفراي جانسن (٦٧)، حقيقية وإيهامية في الوقت نفسه، حققت غايتها عندما حبكت الفخ على عبد الناصر وذلك بانزلاقه إلى إعلان حالة حرب (Act de Belligerence) اعتبرت من قبل أمريكا وإسرائيل كافية لتبرير وتغطية عدوان إسرائيلي على مصر معدّ بالتواطؤ مع أمريكا، الأمر الذي تحقق بإغلاق خليج العقبة وسحب قوات الطوارئ الدولية. ولو أن هدف إسرائيل هو فقط قطع دابر العمل الفدائي المنطلق من سوريا أو قلب السلطة السورية، لاستطاعت أن تحرك حشودها وتضرب قبل أن يتحرك عبد الناصر (٦٨).

كيف نفسر تصرفات عبد الناصر هذه؟ لم يفقد عبد الناصر رأسه تماماً في دوامة هذه الأحداث، إلا أنه عانى ضرباً من تشتت. لقد كان مرناً، إلا أنه كان عاجزاً عن الحسم، الحسم بعقل بارد في اللحظات الخطيرة. وبالرغم من أن الطابع التاريخي لشخصية عبد الناصر، مثله في ذلك مثل أية شخصية تاريخية، يضيف مسحة من مغامرة على بعض تصرفاته الكبيرة، إلا أن حساباته في هذه الفترة، رغم أنها كانت خاطئة، لم تكن بلا بعض أساس.

لم يكن عبد الناصر يريد الهجوم على إسرائيل بالطبع، ولكن كانت نواياه تتجه إلى إنقاذ سوريا من مخاطر تهديدات اعتقدها جديدة، من خلال ضغوط ومناورات تحولت إلى فخ قاتل. إن حساباته كانت مبنية على أساسين رئيسيين: الجيش المصري والدعم السوفياتي. حقاً إن عبد الناصر لم يكن يقدر أن الجيش المصري أقوى من الجيش الإسرائيلي، إلا أنه كان، بالتأكيد، يعتقد أن الجيش المصري يمكن أن يقاتل مدة ما دون أن ينهزم. أما الدعم السوفياتي، فإنه ربما كان يقدر أن الاتحاد السوفياتي سينتدخلك بطريقة ما لمنع الهزيمة على الأقل. وهذا لم يحدث.

هذا جانب من الموضوع، أما الجانب الآخر منه فهو أن عبد الناصر، الحريص على روابطه بال جماهير العربية، والذي لم يستطع أن يواجهها إلا بنصف الحقائق متأخراً، بسبب موقفه الأبوي منها، قد سار، بسبب هذا الحرص، على صراط ضيق جداً بين نارين: نار الديماغوجية التي تصور أنها ستقطع صلاته بال جماهير العربية، أو ستضعفها على الأقل، ونار الإمبريالية التي أحكمت هذا الفخ المميت لتصفي حساباتها معه إلى الأبد. وفي هذا الصراط الضيق لم يستطع عبد الناصر، الذي جرحته تهم الجبن والعمالة، أن يمسك رأسه تماماً وأن يتوازن تمام التوازن، فهو. ولكن تلففته الجماهير التي وقفت لأول مرة في التاريخ مع قائد مهزوم.

وحاول عبد الناصر أن يقف من جديد، مع شعبه، وهو في القاع، قاع الهزيمة. ولكن أمريكا قررت أن تتابع المعركة وصولاً إلى إعادة الشعب العربي إلى ما قبل العام ١٩٥٢، أي إلى ما قبل عبد الناصر (٦٩). وفي ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٧٠ غاب عبد الناصر وهو ينزف (وشعبه ينزف معه)، ولكنه كان واقفاً.

-٦-

كيف تبلورت وتحددت رؤية عبد الناصر للمسألة الفلسطينية، وما هي الدفة السياسية الموجهة التي استخلصها لمواجهة الخطر أو الغزو الصهيوني؟

١- إن إسرائيل جسم غريب زرعه الاستعمار وتحميه الإمبريالية للقضاء على احتمالات النهضة العربية وليكون رأس جسر لها في الوطن العربي. إن إسرائيل هي "الشعب" النقيض للأمة العربية. إنها نقيضة الوجود العربي.

٢- بما أن ميزان القوى المحلي ليس في صالح العرب، وبما أنه ليس بإمكان إسرائيل أن تقضي على الأمة العربية، لذا فإن الصراع سيكون صراعاً تاريخياً ومديداً. ومن هنا يرفض عبد الناصر الأوهام السلامية على صعيد المستقبل، استراتيجياً وتاريخياً، كما أنه يرفض الأوهام التحريرية على صعيد التكتيك والعمل السياسي.

٣- إن الضعف العربي يتجسد في ظاهرتين أساسيتين: التخلف والتجزئة.

وبما أن الصراع ضد التخلف معركة طويلة، ونتائجها في المدى القريب ليست ناجعة في قلب ميزان القوى المحلي لصالح العرب، لذا تغدو الوحدة العربية طوق خلاص للعرب في المرحلة الراهنة والثقل الذي سيرجح ميزان القوى المحلي لصالح العرب، وسيكون هذا الرجحان أشد بقدر ما تكون الوحدة أوثق وأكثر تلاحماً وتقدماً. إن وزن العرب العددي ليس له- كما أثبتت تجارب الأعوام العشرين الماضية- أي قيمة إلا في إطار وحدة فعلية وفعالة. ما دام العرب متخلفين فهم كمية ليست ذات بال في واقع التجزئة، ولكن في إطار الوحدة قد يصبحون كما له قيمته حتى في ظل تخلفهم الراهن. حتى الوحدة في ظل التخلف ستحشر إسرائيل في مواقف دفاع، بل دفاع تراجع.

٤- إن تحرير فلسطين جزء من الثورة العربية، وجزء من نضال الأمة العربية ضد الاستعمار. وما دامت إسرائيل ليست الحلقة الأضعف، بل الأقوى في السلسلة الإمبريالية، لذا لا يمكن أن تتقدم قضية العرب في فلسطين جدياً نحو التحرير ما دام ثمة رجعية عربية وما دام البترول العربي ليس بيد العرب، أي ما لم تتقدم الثورة العربية لتتجزأ قسماً كبيراً من أهدافها.

٥- بما أن عبد الناصر يظل على النزاع العربي- الإسرائيلي من خلال منظور صراعي طويل الأمد، لذا فإن المعارك مع إسرائيل ستدور على مختلف الصعد وعلى مختلف الجبهات: كل ما يقوي العرب يضعف إسرائيل ويشكل خطوة على طريق التحرير المعقد والطويل. المهم أن يفاضل العرب لكي ينقلب ميزان القوى لصالحهم. وعندما ينقلب هذا الميزان ستترنح إسرائيل، وستنهاوى حتى قبل المعركة العسكرية الفاصلة.

٦- خلافاً للديماغوجية والجهل، التي لا ترى إلى الصراع العربي- الإسرائيلي إلا من زاوية هجومية تحريرية، فإن عبد الناصر، كسياسي حقيقي وكعسكري حقيقي، قد أدرك أن الحرب ليست هجوماً فقط، وأن من الممكن أن تكون الحرب العربية الإسرائيلية حرب دفاع من جانب العرب في فترة ما وفي ظل توازن ما.

٧- إن عبد الناصر قد عرف، من خلال التجربة ومن خلال دراسة كلوزيفيتس، "إن الطريق إلى فلسطين لا يفتحه السلاح وحده. إن الجيوش الوطنية، إذا لم تكن في قوتها تعكس واقعاً اجتماعياً صلباً وقوياً، تصبح في أحسن الأحوال قشرة من حديد يسهل كسرها. وإنما تصبح للجيوش الوطنية فاعلية حقيقية إذا كانت قوتها أعمق من قشرة الحديد، إذا كانت قوة دروعها مستمدة من قوة الواقع الاجتماعي ومقدرته" (٧٠).

٨- لقد استوعب عبد الناصر جيداً موضوعتي لينين وماوتسي تونغ. موضوعة لينين التي تقول بضرب السلسلة الإمبريالية في أضعف حلقاتها، وموضوعة ماوتسي تونغ التي تقول بأن الثورة تكون قوية حيث الثورة المضادة تكون ضعيفة. ففي رأي عبد الناصر، إن إسرائيل ليست الحلقة الأضعف، بل الحلقة الأقوى في السلسلة الإمبريالية. وينبغي البدء بضرب الحلقات الأضعف: الرجعية، جيوب الإمبريالية، التجزئة، الخ.

٩- بما أن ميزان القوى المحلي الدولي ليس في صالح العرب، وبما أن إسرائيل ليست الحلقة الأضعف في السلسلة الإمبريالية، لذا لم يضع عبد الناصر تحرير فلسطين في أمر اليوم. ولكنه أكد دائماً على أنه هدف أساسي من أهداف الثورة العربية. ولهذا خندق عبد الناصر في مراكز دفاعية، واتخذت إسرائيل- بالطبع- مواقع هجومية.

ولكن، كما قلت قبلاً، إذا كان عبد الناصر لم يضع هدف تحرير فلسطين في أمر اليوم، إلا أن إسرائيل قد وضعت على الدوام القضاء على عبد الناصر في أمر اليوم. وهذا يقتضينا الحديث، وإن باقتضاب، عن بلاتفورم إسرائيل، أي الدفة الموجهة للسياسات الإسرائيلية. إن بلاتفورم إسرائيل هو بلاتفورم عبد الناصر مترجم إسرائيلياً وصهيونياً :

أ- إن الحفاظ على وجود إسرائيل يقتضي تكبيرها سكاناً وأرضاً من جهة، كما يقتضي الحفاظ على طابعها الغربي من جهة أخرى . وهذا يقتضي أن تعيش إسرائيل في حالة توتر دائم مع العرب، وأن تنتهج بالتالي سياسة توسعية وهجومية ما دام ميزان القوى لصالحها، لهذه الأسباب لم تكن محاولات إسرائيل للحصول على التعايش مع العرب لا جدية ولا أولوية ، كما أن شعارها بقي هو هو طيلة وجودها : لا شبر ولا نفر. ومن هنا فإن إسرائيل هي أيضاً، وبخاصة رجالها التاريخيين، ترى أن الصراع العربي- الإسرائيلي سيستمر طويلاً ، نصف قرن أو أكثر. إن إسرائيل لا يخدمها وهم احتمالات سلام ، التي قد تفرض إحداها اليوم ، ولكنها لا بد أن تنقض إن غداً أو بعد غد، سواء من قبل إسرائيل أو من قبل العرب.

ب- إن بقاء التجزئة هو طوق نجاة دائم لإسرائيل. لذا كانت إسرائيل، ولا تزال، شديدة الحرص على "استقلال " البلدان العربية "المهددة بالابتلاع المصري "!! ليس في الشرق الأوسط عرب ويهود مثلاً ، بل هناك سوري وعراقي ومصري وسعودي وإسرائيلي . بل أكثر من ذلك هناك: سنة وشيعة وأكراد وموارنة ودروز وأشوريون وعلويون... إلخ. إن أبا إيبان يلخص الصراع في الشرق الأوسط بأنه صراع بين الوحدة والتعدد (٧١) . ومن هنا، فإن إسرائيل تبني آمالها على مزيد من التجزئة، لكي تكون الدولية الأولى والأقوى وسط محيط من الدويلات القزمية المبنية على اعتبارات طائفية أو عنصرية إلخ . ولهذا السبب تشجع إسرائيل النزاعات المفتتة، النابذة، المبعدة عن المركز القومي العربي.

ج- تطبق إسرائيل بمنتهى الوعي والبراعة تكتيك هو شي منه : ضرب العدو الرئيسي في اللحظة الملائمة:

- العدو الرئيسي لإسرائيل هو مصر فقط : إن ضرب مصر يعني ضرب الكتلة، الثقل مركز الثقل، الكتلة المنسجمة المتراسة (٧٢). وبعد ذلك تصبح مشكلة الفراطاة أو الفرافيط محلولة.

- أما اللحظة الملائمة فقد اختارتها إسرائيل بذكاء في العامين ١٩٥٦ و ١٩٦٧: توفرت اللحظة الأولى في العام ١٩٥٦ عندما أمنت دخول إنكلترا وفرنسا معها في الحرب، مضافاً إليها حالة المتفرج التي وقفنها الدول العربية الأخرى. وتوفرت اللحظة الثانية عندما أمنت دعماً أمريكياً حاسماً مضافاً إليها أن العرب لم يكونوا شأنهم عام ١٩٥٦ و ١٩٤٨ في حالة تجزئة فقط ، بل في حالة انفصال مقاتل.

هوامش

(١) أنظر: فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث (موسكو: دار التقدم،

١٩٧١)، ص ١٥٧-١٥٨، وانظر أيضاً . Joseph Hajjar , L'Europe et les destinées du Proche-Orient 1815-1848 (Paris:Bloud et Gay ,1970), p 335

(٢) أنظر: ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨-١٩٣٩، ترجمه إلى العربية كريم عزقول (بيروت. دار النهار، ١٩٦٨)، ص ٢٣٥.

لسنا إلا بصدد إعطاء إشارات سريعة حول هذا الموضوع المهم وتبيان حقائق تاريخية بسيطة تؤكد أن قضية فلسطين محكومة بمسألة الوحدة والتجزئة. وإذا كنا قد أستشهدنا بكاتب عربي متنكز، فليس غرضنا الطعن بنزاهة دعاة الحركة القومية المصرية الأوائل، هذه الحركة التي تجد مبررات ما موضوعية في التاريخ المصري والواقع المصري، ولكن غرضنا أن نبين إلى أي حد تستطيع الإمبريالية أن تلعب أو تنمي اتجاهات وميولاً لها بعض الجذور في الواقع الموضوعي. ترى ألم يكن ايديولوجيو ومخطوط الإمبريالية الإنكليزية قد تمثلوا درساً من خلال عملية رد الغزو الصليبي التي نجحت عندما وحد صلاح الدين الأيوبي مصر وسوريا؟ فضلاً عن ذلك فإن هذه الانعطافة التي أحدثها عبد الناصر ، بإعادة مصر إلى إطارها الطبيعي كقوة فاعلة ، تعطي صورة واضحة عن رؤية عبد الناصر التاريخية التي تفوقت على سائر رؤى مفكري وساسة مصر ما قبل العام ١٩٥٢ .

ومن جهة أخرى ينبغي لنا أن نحدد بالضبط محتوى شعار " القومية العربية " الذي اطلقته في المشرق العربي جمعيات وشخصيات قومية عربية . لم يكن الأفق الوحدوي لهؤلاء ، في معظم الأحوال ، يعانق مصر من جهة ولا يعرف حقيقة دورها من جهة أخرى . وبالتالي فإن النقد الذي وجهه عبد الناصر في " الميثاق " للحركة الوطنية المصرية ، حين عزا سبب فشلها ، مع أسباب أخرى ، لكونها لم تستطع أن تتعلم من التاريخ ولم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء - هذا النقد يصيب أيضاً ، وإن بنسبة أقل ، الحركة القومية العربية المشرقية .

(٣) لا شك ان الجماهير المصرية كانت أكثر اهتماماً بكثير من قياداتها الوطنية بقضية فلسطين ، وبالطبع كان القطاع الطلابي أكثر تحسناً من قطاعات الشعب الأخرى . ولقد كان عبد الناصر ، كما يروي هو وبعض من كتبوا عنه ، واحداً من زعماء تلك المظاهرات التي كانت تجوب شوارع القاهرة في كل عام بمناسبة ذكرى وعد بلفور، الذي كان أحد عوامل بزوغ الوعي العربي لدى عبد الناصر.

(٤) انظر. جمال عبد الحاصر، فلسفة الثورة (القاهرة. وزارة الإرشاد القومي، [د.ت.] ، وأنظر أيضاً : عبد الناصر والثورة (القاهرة : الشباب الاشتراكي، ١٩٧٠)، ص ١٣-٢٠.

(٥) لخص عبد الناصر الدرس الذي تعلمه كما يلي . " ولما انتهى الحصار وأنتهت المعارك في فلسطين وعدت إلى الوطن، كانت المنطقة كلها في تصوري قد أصبحت كلاً واحداً "، انظر: عبد الناصر، فلسفة الثورة، ص ٦١.

(٦) انظر. عبد الناصر والثورة، ص ١٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٩ - ٢٠.

(٨) حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ أحد الأمثلة الساطعة على هذه الحقيقة : صراخ إسرائيل كان يعلو على سوريا، ولكن ضربتها نزلت بمصر.

(٩) ألا يذكر عبد الناصر هنا بالزعيم الشيوعي التتري سلطان عالييف وبالزعيم الشيوعي الاندونيسي طان ملكا !!

(١٠) لنتذكر صداقات عبد الناصر مع "الكفار!!" وصلاته الحميمة بهم : نهرو، تيتو، نكروما، لومومبا.

(١١) في خطاب ألقاه في نادي فلسطين بالإسكندرية بتاريخ ١٣ كانون الأول / ديسمبر ١٩٥٣، قال عبد الناصر: " إن الاستعمار، الذي لا يريد لهذه المنطقة أية حرية، يسند إسرائيل، وهي (جزء من) خطة الاستعمار في القضاء على الأمة العربية جميعاً ، وهي ليست خطة قصيرة الأجل، بل طويلة تهدف إلى القضاء على العروبة كلها. إن العملية ليست عملية فلسطين، إنما هي عملية العرب... نحن يمكننا أن نقضي على الغرب إذا اتجهنا إلى العمل وحده... ضد الاستعمار، لأنه سبب النكبات، وهو الذي دبر نكبة فلسطين، ويدبر النكبات للبلاد العربية جميعاً ". انظر. جمال عبد الناصر، فلسطين : من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر، كتب قومية ؛ ٣٠١ (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥)، ص ١٠ - ١٣.

(١٢) "... لقد كانت جيوشنا (جيوشنا جميعاً في حرب عام ١٩٤٨) تبدو كقطع شطرنج لا قوة لها

ولا إرادة إلا بقدر ما تحركها أيدي اللاعبين... وكانت شعوبنا جميعاً تبدو في مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة محبوكة أخفت عنها عمداً ما يجري ، وضللتها عن وجودها نفسها "، في : عبد الناصر، فلسفة الثورة، ص ٦٥.

(١٣) إن الخيانة واسعة المدى (أي خيانة حكم لا خيانة فرد أو مجموعة) هي أساساً، وفي آخر تحليل، قسوة انهيار المجتمع التقليدي المتبیس ، الهش ، الممات، عندما يتلقى صدمة الدول الاستعمارية. حقاً إن المجتمع الحديث المتماسك لا يخلو من ظاهرة خيانية كهذه، ولكن في مثل هذا المجتمع تبقى هذه الظاهرة أمراً هامشياً وعابراً فضلاً عن أن تماسك المجتمع وعافيته تجعلان التأثيرات السلبية لتلك الظاهرة محدودة وغير متطولة. إن هشاشة المجتمع المتخلف تتيح للإمبريالية أن تمد شبكات من الأقتية الخيانية. أما تماسك المجتمع الحديث فلا يسمح، في أسوأ الأحوال، سوى بمد قصبات خيانية ضيقة في الأطراف والتخوم، كما أنه يشل فاعليتها أو يضعفها. أليس أمراً له دلالة أن أكثر المجتمعات العربية تخلفاً هو أكثرها إفرازاً للظاهرة الخيانية الواسعة؟

(١٤) للاطلاع بتفصيل على حادثة السفينة الإسرائيلية " بيت كاليم "، التي أرسلتها إسرائيل في محاولة لعبور قناة السويس في العام ١٩٥٤، وعلى قضية لافون ، حيث حاولت إسرائيل القيام بعمليات تخريب في السفارات الغربية في القاهرة بغية إفشال المفاوضات المصرية- الانكليزية والحيولة بالتالي دود جلاء القوات البريطانية عن مصر، انظر ، (: Paris) Nathan Weinstock , Le Sionisme contre Israel , et Maxime Rodenson , Israel et le refus arabe , 75 ans d'histoire I, histoire immediate (Paris: Edition du Seuil , 1968) , p . 69

(١٥) انظر جان لاكوثير : عبد الناصر (بيروت : دار النهار ، ١٩٧١) ، ص ١٧٨ .

(١٦) في خطابه في ٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٥، قال عبد الناصر ".. لقد كانت حادثة ٢٨ شباط/فبراير الماضي والاعتداء الوحشي اليهودي المدبر.. نقطة تحول. لقد كان هذا الاعتداء ناقوس الخطر الذي جعلنا نبحت وندقق في التعرف إلى السلام ومعنى السلام.. ومعنى توازن القوى في المنطقة..". وفي خطابه في ٢٢ تموز/يوليو ١٩٥٧ قال: " إن معركة الدفاع عن الشرق الأوسط أو معركة الأحلاف العسكرية المفروضة من الخارج لم تلبث أن قادتنا إلى اشتباكات خطوط الهدنة مع إسرائيل، هذه الاشتباكات التي بدأت بالغارة على غزة. قبل الغارة لم تكن نشغل أنفسنا كثيراً بخطر إسرائيل. كنا نعتبر خطر إسرائيل هو مشكلة سباقنا مع الوقت لبناء أوطاننا. كنا في ذلك الوقت نعتبر أن خطر إسرائيل هو في حقيقة أمره ضعف العرب، ولولا هذا الضعف ما استطاعت أن تغتصب من الوطن العربي بقعة من أقدس بقاعه وأطهر أراضيه. إن دخان الغارة على غزة في شباط/فبراير قد انجلى ليكشف عن حقيقة خطيرة تلك هي أن إسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة، وإنما إسرائيل في حقيقة أمرها رأس حربة للاستعمار ومركز تجمع لقوى الاستعمار والصهيونية العالمية".

وفي خطابه بتاريخ ١٥ أيار/مايو ١٩٥٨، قال: "عندما خرجت قوات الاحتلال من بلادنا بدأت اعتداءات إسرائيل على حدودنا، حتى ننضم إلى الأحلاف، ونطلب من الدول التي تنادي بالأحلاف في الشرق الأوسط أن تحميها من عدوان إسرائيل. ففي عام ١٩٥٥ أعلن حلف بغداد، فرفضنا الانضمام إليه وصممنا على سياستنا وتمسكنا بها، فكانت النتيجة أن وقع علينا العدوان من إسرائيل. ولم تكن إسرائيل إلا منفذة لسياسة الاستعمار الذي تتعامل معه".

انظر: عبد الناصر. فلسطين: من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر، ص ٢٩، ٣٠، و ٣٦.

(١٧) لقد شدد عبد الناصر هجومه على حلف بغداد والاستعمار والرجعية المرتبطة به، ولكنه قدم إلى كبير المراقبين الدوليين اقتراحاً يقضي بسحب قوات الفريقين، المصري والإسرائيلي المسلحة مسافة كيلومتر عن جانبي خط الهدنة. وقد رفضت إسرائيل هذا الاقتراح. انظر. لأكوتير، المصدر نفسه، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(١٩) Rodinson , Israel et le refus , 75 ans d,histoire , p , 69 , et Weinstock , le . Sionisme contre Israel , p , 428

Weinstock .Ibid , p , 433 (٢٠)

(٢١) المصدر نفسه، ص ٤٣٠ - ٤٣١، و Rodinson ,Ibid , p ,71

(٢٢) إن هدف الاعتراف ، اعتراف العرب بإسرائيل، هو بالأحرى سبب إضافي وثانوي للعدوان الإسرائيلي في العام ١٩٥٦. ولعل الإشارة الإسرائيلية القاطعة إلى هذه الحقيقة تتمثل في المذكرة الإسرائيلية السرية الموجهة إلى السفارة الأمريكية في إسرائيل قبيل زيارة بن غوريون للولايات المتحدة في أيار/مايو- حزيران/يونيو ١٩٦١، وجاء في المذكرة أن الحكومة الإسرائيلية لا تعتقد أن الوقت مناسب للتسوية السلمية للعلاقات بين إسرائيل والبلاد العربية. هذا ما أورده الكاتبة السوفياتية جالينا نيكيتينا في مؤلفها، أنظر: جالينا نيكيتينا، دولة إسرائيل: خصائص التطور الاقتصادي والسياسي، الترجمة العربية ([د. م .] . دار الهلال، [د. ت.])، ص ١٤٤، وقد نقلته المؤلفة عن جريدة : Stuttgart Zeitung , 5/4/1961

Rodinson .Ibid , p , 73 (٢٣)

وكتب حبيب القهوجي . " لقد كتب بن غوريون مرة بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ بأن أخشى ما يخشاه بأن يقوم رجل من هذه الأمة ويوحدها كما حصل في الماضي وعندها لن يكون محل لإسرائيل في الشرق الأوسط "، انظر: مجلة الثقافة العربية، العدد ٦ (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧١)، ص ١٤٩.

(٢٤) انظر. محمد حسنين هيكل في : النهار، ١٠٣ / ١٩٧١.

(٢٥) من خطابه ١٤ أيار/ مايو ١٩٥٦، انظر. عبد الناصر، فلسطين : من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر، ص ٢٧.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٥٧.

(٢٧) ولكن لا بد من إيضاح : أن السياسة علاقات موضوعية وليست نيات ذاتية. عبد الناصر لم يضع تحرير فلسطين في أمر اليوم فعلاً ، ولكن إسرائيل لم تضع إلا رأس عبد الناصر في أمرها اليومي.

(٢٨) لم تكتب بعد دراسة عربية خاصة بمسألة الوحدة العربية وإسرائيل ، رغم أن مسألة الوحدة العربية تعتبر المسألة المركزية في الصراع العربي- الإسرائيلي . ومع ذلك فثمة دلالات بينية بما فيه الكفاية.

ويقول صبري جريس. " ما زلنا نذكر صرخة بن غوريون في أعقاب قيام أول وحدة في تاريخ العرب الحديث - وحدة عام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا- حين قال. "إن هذه ليست جمهورية، ولا هي عربية، ولا هي متحدة !". لقد كانت هذه الكلمات تعبر عن الحقد والغضب والكراهية التي تفجرت في قلوب الصهاينة وهم أمام أولى البوادر الوحيدة الحقيقية في العالم العربي. والواقع ان أشد ما ترهبه إسرائيل هو قيام أي ظاهرة حقيقية للوحدة العربية. والسبب بسيط جداً ، فكلما كبر العرب صغرت إسرائيل. المسألة مسألة وجود كياناتهم بأكملهم أو عدم وجود.. " أنظر: الثقافة العربية، العدد ٦ (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧١)، ص ١٥٩.

في ٢٠ / ٢ / ١٩٥٨ نقلت الصحف السورية كلها تقريباً تصريحاً لنهرو أدلى به في البرلمان الهندي : " ... إنني أرحب بوحدة مصر وسوريا... إن هذا الذي يجري في الشرق الأوسط (أي قيام الوحدة) أدى إلى سماع صوت التشاؤم من إسرائيل. وهناك بعض الخطر من أن تقوم إسرائيل بعمل طائش نتيجة لما حدث في الشرق الأوسط ، وإذا ما حدث شيء من هذا النوع ، فإن المرء ليعجز عن معرفة ما يؤدي إليه ". ولقد ثبت هذا التصريح في ياسين الحافظ ، حول بعض قضايا الثورة العربية (بيروت. دار الطليعة، ١٩٦٣)، ص ١٩٤.

عالج إيبان موقف إسرائيل بهذا الخصوص ولخص الصراع في المنطقة بوصفه صراعاً بين الوحدة والتعدد " التجزئة ". أنظر . . Foreign Affairs (July 1965) p.629

وأشار رودنسون إلى هياج بن غوريون عندما لاحت احتمالات الوحدة الثلاثية ، أنظر.

Rodinson ,Israel et le erfus arabe , 75 ans d,histoire ,p 105

أما صموئيل سيجيف، الكاتب الإسرائيلي، فقد أوضح ببعض التفصيل وجهة نظر إسرائيلي في الوحدة العربية في :

Samuel Seguev , Israel , les Arabes et les grandes puissances : 1963-1968 , traduit de l,hebrew par Gabriel Roth (Paris : Calmann- Levy .1968) , pp . 16-18

أما نظرة إسرائيل إلى مسألة الوحدة من زاوية عسكرية فنجدها في تقرير الأركان الإسرائيلية المنشور في : كارنجيا، خنجر إسرائيل ([دمشق] . دار دمشق، ١٩٦٧).

(٢٩) معلومات حصلنا عليها شخصياً من قائد الجبهة السورية آنذاك.

(٣٠) انظر: كارنجيا، خنجر إسرائيل، ص ٢٨.

(٣١) لقد أثبتت الأحداث دوماً أن ما يسمى بالتضامن والتحالف العربي، في ظروف كالظروف العربية، لم تكن يوماً جدية. فما لم تكن ثمة قيادة سياسية مركزية فلن يكون هناك تحالف ذو جدوى وفاعلية من الزاوية العسكرية.

(٣٢) وقد أشار إلى ذلك عبد الناصر باعتباره ثمرة من ثمار الوحدة . انظر خطابه بمناسبة الذكرى الأولى للوحدة ، في : عبد الناصر، فلسطين : من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر، ص ٣٨.

(٣٣) أنظر: Rodinson , Israel et le refus arabe ,75 ans d, histoire , p .85

(٣٤) المصدر نفسه، ص ١٠٠. وانظر أيضاً . نيكيتينا، دولة إسرائيل: خصائص التطور الاقتصادي و السياسي ، ص ١٤٢ .

(٣٥) نيكيتينا، المصدر نفسه، ص ١٤٢ .

(٣٦) انظر: Georges Corm , les Finances d, Israel (Beyrouth : Institut des etudes Palestiniennes ,1968) ,p.38

يستخلص من الجداول الإحصائية المنشورة في هذا الكتاب ما يلي : الهبات المقدمة لإسرائيل كانت في تناقص فترة ١٩٥٤ - ١٩٥٧، ثم صعدت صعوداً ملحوظاً في فترة الوحدة. فبعد أن كانت الهبات الإمبريالية ، ٢٤٥.٤ مليون دولار في العام ١٩٥٧ أصبحت ٣٤٦.٥ مليون دولار في العام ١٩٦١. ولم يرتفع هذا الرقم بعد مقتل الوحدة فبقي ٣٤٧.٩ في العام ١٩٦٥، وهبط إلى ٣٠٦.٣ في العام ١٩٦٦ .

(٣٧) Weinstock , le Sinoisme contre Israel ,p,447

(٣٨) انظر: الياس سعد، الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، سلسلة دراسات فلسطينية ؛ ٦٦ (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٩)، ص ٢٤٦ - ٢٤٧. لا شك أن ثمة عوامل أخرى تتحكم بموضوع الهجرة، ولكن لا شك أن الوحدة تشكل عاملاً مهماً .

(٣٩) إن نسبة الفلسطينيين الذين قتلوا وسجنوا وطردوا بسبب نضالهم في سبيل إعادة الوحدة كانت أعلى بكثير من نسبة السوريين، لا عجب، لقد شعروا، بحق، أنهم يدافعون عن أمل بالعودة قد انطفأ.

(٤٠) أنظر الحلقة السابعة من كتاب محمد حسنين هيكل عبد الناصر والعالم في : النهار، ٢٤ / ١٠ / ١٩٧١ .

(٤١) أعاد هيكل نشر هذه الرسائل في الحلقة السادسة من كتابه عبد الناصر والعالم في : النهار، ١٧ / ١٠ / ١٩٧١ .

(٤٢) انظر الهامش رقم (٢٢) أعلاه.

(٤٣) نيكيتينا، المصدر نفسه، ص ١٤٥ .

(٤٤) Rodinson , Israel et le refus arabe , 75 ans d, historire , p.145

(٤٥) كان أحمد عسة يصدر جريدة الرأي العام ، التي كانت أكثر الصحف السورية انتشاراً. هرب أحمد عسة بعد ٨ آذار/ مارس ١٩٦٣ إلى السعودية، ليعمل في الإعلام السعودي ويؤلف الكتب عن "منجزات " العائلة السعودية. كان أكرم الحوراني "راعي " هذه الجريدة، وكانت الصحف السورية كلها تقريباً تنشر مقالات أكرم الحوراني في عرض صفحاتها الأولى، ولعل أهم مقالاته وأشهرها هي المقالة التي نشرها في : الرأي العام، ٢١ / ٨ / ١٩٦٢ .

(٤٦) "إن مختلف الأنظمة الملكية العربية، التي كان عبد الناصر يهاجمها دائماً بسبب سياستها الرجعية، ما لبثت أن كالت له الصاع بالصاع، وهاجمته في موقفه المتساهل من مسألة حرية الملاحة الإسرائيلية إلى ميناء إيلات وبسبب وجود قوات الطوارئ الدولية على حدود قطاع غزة وسيناء. وتزايد تواتر وعنف هذه الهجمات كلما اقترب موعد انتهاء المشروع الإسرائيلي لضخ المياه من نهر الأردن " . انظر:

Seguev , Israel , les Arabe et les grands puissances : 1963-1968 , p . 24

(٤٧) لوحظ آنذ أن العلاقات بين النظام الأردني والنظام السوري أصبحت إيجابية. ولأول مرة في تاريخ سوريا يقوم رئيس للدولة بزيارة السفارة الأردنية مهناً بعيد جلوس الملك حسين على العرش كما سمح للصحف الأردنية، لأول مرة أيضاً ، بالدخول إلى الأسواق السورية

(٤٨) "تحرير الأقطار المحتلة"، من إصدار فتح، ص ٢٧ - ٢٨.

(٤٩) "كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة؟"، من إصدار فتح، ص ٣٢.

Eric Rouleau , Jean – Francic Held et Jean et Simonne Lacouture , Israel et les Arabes le 3 eme combat (Paris : Edition du Seuil , 1967) p . 59

(٥١) أورد ناثن فانشتوك، نقلاً عن مصادر إسرائيلية رسمية، المعلومات التالية عن النشاط الفدائي قبل حرب حزيران/ يونيو عام ١٩٦٦: ١٠ قتلى . عام ١٩٦٧ (من ١ كانون الثاني/ يناير حتى ٥ حزيران/ يونيو، وعلى حدود الدول الأربع) قتل واحد. عدد العمليات. عام ١٩٦٥ بلغ ٣٥ عملية، الناجحة منها ٢٧. عام ١٩٦٦ بلغ ٤١ عملية، الناجحة منها ٣. عام ١٩٦٧ بلغ ٤٦ عملية الناجحة منها ٢٠ أنظر:

Weinstock , Le Sionisme contre Israel , p . 471

(٥٢) لا بد أن أذكر، استناداً إلى الذاكرة، إلى أن صحف دمشق كانت تهون آنذاك من شأن الحلف الإسلامي وتعتبر الحلف الإسلامي وهماً خلقه عبد الناصر، فالرجعية ضعيفة وأن الهدف الأساسي للاستعمار من وراء مشروع الحلف الإسلامي هو دفع دمشق للقاء بالقاهرة.

(٥٣) انظر. عبد الناصر، فلسطين : من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر، ص ١٢٠، ١٣٧ و ١٣٩.

(٥٤) ما كاد عبد الناصر ليواجه هذا الحرج أمام الجماهير العربية لو أن أجهزة الإعلام المصرية لم تخف عليها حقيقة المعارك العسكرية مع إسرائيل عام ١٩٥٦.

(٥٥) انظر: عبد الناصر، المصدر نفسه، ص ٩٧، ١١٩، و ١٤١.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

Rodinson , Israel et le refus arabe , 75 ans d,histoire ,p . 175 et Weinstock (٥٧)
Le Sionisme conter Israel

(٥٨) قال عبد الناصر في حديث إلى مجلة بليتز الهندية بتاريخ ٦ شباط/ فبراير ١٩٦٤. " ليس مصدر قلقنا هو المياه التي يسرقونها والأرض التي يعتزمون استعمارها (تعميرها ،بالأصح) عن طريق استجلاب مهاجرين غرباء ، فإن هذه الأعمال- رغم عدم شرعيتها- ليست بالخطر الكبير، ولكن ما يهمننا هو ألا نسمح لهم بأن يقبضوا ويدعموا قبضتهم على الأرض التي اغتصبوها عن طريق سلب المياه العربية وسرقة الأرض العربية والاستمرار في تمزيق الجرح الذي أصاب اللاجئين الفلسطينيين بطردهم من ديارهم."

(٥٩) عبد الناصر، فلسطين: من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٦٠) هشام شرابي، المقاومة الفلسطينية في وجه إسرائيل وأميركا (بيروت: دار النهار، ١٩٧٠)، ص ٨٢ نقلاً عن دافيد نيس (وهو دبلوماسي أمريكي كان في القاهرة قبيل العدوان) في

New York Times .9/ 2/ 1968

Le Monde , 2/5/1966 , et Rodinson , Israel et le refus arabe , 75 ans d, histoire , p , 175 , et

(٦٢) مايلز كوبلند، لعبة الأمم (بيروت: دار الفتح، ١٩٧١)، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٦٣) نقلها هشام شرابي، عن خطاب ألقاه دافيد نيس في مؤتمر لبحث الشؤون العالمية عقد في جامعة كولورادو في نيسان/ أبريل ١٩٦٨، انظر: شرابي، المقاومة الفلسطينية في وجه إسرائيل وأميركا.

(٦٤) وقد تم فعلاً هذا الشحن من خلال الصحف الإسرائيلية بخاصة، عبر إبراز تصريحات الشقيري وعبر تضخيم أعمال الفدائيين، والتهويل بها، بحيث كانت أجهزة الإعلام الإسرائيلية تعكس أعمال الفدائيين على نحو أضخم من بلاغات "العاصفة"، كما كانت المخابرات الإسرائيلية تضع متفجرات في أماكن معينة وتفجرها بحيث لا تحدث أضراراً في الأرواح ثم تنسبها للفدائيين.

(٦٥) يروي إيريك رولو، " أن عبد الناصر كان مقتنعاً بأن المخابرات الأمريكية ضالعة في مؤامرة الإخوان المسلمين التي أكتشفت عام ١٩٦٥، وفضلاً عن ذلك فقد وقعت أربعة انقلابات أمريكية في إندونيسيا وغواتيمالا وغانا واليونان في الربع الثاني من العام ١٩٦٧، " في

Le Monde 6/6/1967

Rodinson , Israel et le refus arabe : 75 ans d, historie , pp. 181-182 (٦٦)

(٦٧) انظر

Godfrey H.Janes , Whose Suez ? Aspect of Collusion ,1967 , Monograph Series
(no . 13 (Beirut : Institute of Palestine Studies , 1968

(٦٨) في ١٢ أيار/ مايو صرح إسحق رابين، رئيس أركان الجيش الإسرائيلي ، أنه " لا يمكن أية دولة في الشرق الأوسط أن تشعر بالأمن ما لم يتم القضاء على الحكم الثوري في دمشق " . انظر أيضاً

Micheal Bar – Zohar , Historire secrete de la guerre d, Israel , les grands etudes
. contemporaines (Paris: Fayard , 1968) , pp . 291 – 296

وملخص رواية بار زوهار (المؤرخ المعروف وشبه الرسمي) كالاتي : كان مجلس الوزراء الإسرائيلي مقسماً ، لاعتبارات سياسية وعسكرية، حول مسألة الهجوم على سوريا في ٥ حزيران/ يونيو. وقد مارس ألون ضغوطاً شديدة على الوزارة لدفعها لاتخاذ قرار بمهاجمة سوريا، وجاء بوفود شعبية من شمال إسرائيل لهذا الغرض. ولقد عارض دايان في البدء الهجوم على سوريا. وبعد أن قبلت مصر وقف إطلاق النار في ٩ حزيران/ يونيو عاد دايان فأمر بمهاجمة سوريا من دون علم أشكول، الذي أيد الهجوم في البداية ثم عارضه بعد ذلك، ثم عاد أخيراً فوافق على أوامر دايان بالهجوم.

(٦٩) روى محمد حسنين هيكل، " أذكر أنني التقيت مرة بأحد المستشارين الذين يعملون في لجنة الطوارئ في البيت الأبيض، وأذكر أنه قال لي. "بعد أن اطمأن جونسون إلى أنتصار إسرائيل، فإن سياستنا أصبحت قائمة على الاحتفاظ بالوضع الذي نشأ عنه وعدم تغييره إلا على شروطنا"، انظر: الأهرام، ١٩ / ٢ / ١٩٧١ .

(٧٠) من رسالة عبد الناصر إلى مؤتمر الطلبة العرب في الولايات المتحدة بتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٩٦٣ ، نشرت في الأهرام، ٢٨ / ٣ / ١٩٦٣ .

(٧١) انظر الهامش رقم (٢٨) أعلاه.

(٧٢) كتب باتريك سيل . " وقد اعتبرت إسرائيل مصر عدوها الرئيسي منذ العام ١٩٥٤ عندما حاول عبد الناصر الوصول إلى قيادة العالم العربي على أساس انتهاج سياسة خارجية مستقلة ومتحرره من سيطرة الدول

الكبرى ، كما بشر عبد الناصر بالتضامن العربى الشامل (أي جبهة عربية بتوجيه مصري)، وطالب باعتباره المنقذ الأول للحقوق العربية في فلسطين. وبناء على هذين الاعتبارين شكل خطراً و تهديداً كبيرين لإسرائيل، لذلك فقد سعت السياسة الإسرائيلية إلى أن تحبط حرية العمل لديه بإذلاله في ميادين الحرب والكشف من ثم عن زيف ادعاءاته بالقيادة والاستقلال. فكل نجاح دبلوماسي مصري على هذا الأساس كانت تتبعه حملة عسكرية صغيرة من جانب إسرائيل " ، انظر. باتريك سيل، الصراع على سورية: دراسة للسياسة العربية بعد الحرب، ١٩٤٥ - ١٩٥٨، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحه (بيروت. دار الأنوار، ١٩٦٨)، ص ٣٢٤.

.....